الجزء الثاني عشر السنة الاولى



(١٥ ديسمبر سنة ١٩٠٠)



﴿ المستر مكنلي ﴾

« رئيس جمهورية الولايات المتحدة الذي أُعيد انتخابه للرئاسة حديثاً »

القسم الأدبي

تأخر الصناعة في مصر

كتبنا في الاجزاء الماضية من المفتاح المقالات الضافية عن حاجيات امتنا المصرية من الوجهة العلمية والادبية وما ينقصها من وسائل التربيةومدارس التهذيب الصحيح وشاطرنا في هذا البحث كثيرون من افاضل الكتاب المصريين الذي زينا جيد المجلة بنشر نفحات افكارهم ونفثات يراعهم في هذا الصدد

على اننا نرى ان حاجتنا الي المدارس الصناعية ونشر الفنون والصنائع في قطرنا لا تقل عن حاجتنا الى نشر التربية الأدبية والتعليم العلمي ولذا احببنا ان نجعل آخر مقالة في آخر جزء من اجزاء المفتاح في هذه المرة قاصرة على البحث عن أسباب تأخر الصناعة في مصر حتى اذا شخصنا الداء يتسنى لنا ان نصف الدواء الناجع والعلاج النافع فنكون قد وفينا الموضوع حقه من البحث من كل الوجوه والاطراف :

يندهش المطلع على تاريخ الامة المصرية القديم عند ما يعلم ما وصلت اليه هذه الامة من تقدم الفنون والصنائع من مثل عمل الزجاج والتخيط والبناء والنقش والتصوير وغير ذلك كما تشهد الآثار التي خلفها ذلك السلف الصالح ثم هو يزيد اندهاشه ويزداد عجبه واستغرابه اذا قارن ذلك بما يراه الآن من حرمان الامة المصرية من كل معدات الصناعة وفقدان كل فن او مهنة بين ظهرانينا في هذا العصر حتى اصبحنا نفتقر الى المعامل والمصانع الاجنبية في جلب كل لوازمنا

وحاجياتنا الضرورية من ملبس واثاث ونحوه ونحن نطمع مع ذلك في نوال الاستقلال ورفع نير السيطرة الاجنبية عن رقابنا وما علمنا ان هذا لا يتم لنا الاَّ اذا استغنينا عن الاجنبي في كل شيء وصرنا نقدر على سد لوازمنا واحتياجاتنا بدون التجاء الى الخارج ولكن المطلع على التاريخ اذا توغل في المطالعة والفحص تجلت له الحقيقة رويداً رويداً وادرك السبب الحقيقي في انحطاط الصناعة بمصر في هذا العصر وسر تقدمها في تلك العصور الخالية

يعلم الواقف على تاريخ مصر القديم ان شريعة اجدادنا المصريين كانت تقضي بالزام الابن باتخاذ حرفة ابيه ولا يسوغ له التصدي لغيرها لذلك كانت الصناعة حية لا تموت ولا يعتري شمس تقدمها افول · اما في هذا العصر فقد يستنكف السواد الاعظم من ابناء الامة الاشتغال بالصناعة ويظنون انها من سقط المتاع ويتهافتون على الاستخدام في الوظائف الحقيرة وهم يرضون بذل الخدمة ومرارة الاستعباد و يفضلونه على الانتساب الى الصناعة وهو خطاء عظيم واعتقاد فاسد ترتب عليه انحطاط الصناعة في البلاد ووصولها الى هذه الدرجة من السقوط والموت ولا تسل عما نجم عن ذلك من الاضرار العظيمة واقل ما يقال من هذا القبيل ان نصف الثروة الاهلية يخرج من يدنا الى الاجانب وتنتفع به معاملهم ومصانعهم وان قنطار القطن يزرع في بلادنا فلا يكلفنا اكثر من ١٠٠ غرش مثلاً ثم هو يرسل الى المعامل والفابريقات الاجنبية و يرد الينا منسوجاً بقيمة لا تقل عن الف غرش وفي ذلك منتهى الخراب والدمار· لذلك قلنا ان حاجتنا الى تعميم الصناعة عظيمة وافتقارنا اليها شديد ولا يكفينا ان تكثر مدارس العلم في بلادنا ويتسع نطاقها لان ذلك لا يفيدنا ما دامت الصناعة ميتة ولا خير في علم بلا عمل فالصناعة ثمرة العلم ولا فائدة له بدونها كما لا يخفى ·

اما وقد علمنا ذلك كله فنحن نعدد هنا اسباب تأخر الصناعة في مصر حتى اذا علمنا تلك الاسباب بادرنا الى تداركها وتلافيها فتحيا الصناعة وتستفيد منها البلاد ·

أما هذه الاسباب فخمسة نأتي على ذكرها بالترتيب

اولاً — عدم وجود مدارس صناعية كافية لان القطر المصري كله ليس فيه الاّ مدرسة او مدرستين من هذا القبيل وهذا لا يكفي لاحتياجه فعلى الامة والحكومة ان تتعاونا على الاكثار من تأسيس مثل هذه المدارس في طول البلاد وعرضها فيعم نفعها ونستفيد من وجودها ·

ثانياً — رسوخ ذلك الاعتقاد الفاسد في عقول ابناء البلاد وهو احتقار الصناعة والاستنكاف من الاشتغال بها فالواجب نزع هذا الاعتقاد بكل الوسائل الممكنة وذلك باعتبار الصانع واجلال قدره ومساواته باصحاب المهن الشريفة في كل شيء

ثالثاً — عدم وجود المعارض الصناعية التي من شأنها بث روح الغيرة والنشاط في قلوب الصناع فتجبرهم على التنافس في اتقان مصنوعاتهم والتفنن فيها وقد جرب المتمدنون من الغربيين هذه الطريقة فوجدوها خير كفيل لذلك ·

رابعاً — عدم اقبال الاهالي على المصنوعات الوطنية ولو كانت جيدة رخيصة الثمن وتفضيل المصنوعات الاجنبية عليها مما يفضي الى اثباط همم صناع البلاد واحباط مساعيهم ومن غريب ما يقال في هذا الصدد ان بعض الاجانب قد يتباهون و يتنافسون في اقتناء بعض المصنوعات الشرقية في حين اننا نهملها ولا نعبأ بها وهذا منتهى الخجل على ما نظن ·

هذه اهم الاسباب التي ادت الى تأخر الصناعة عندنا ولا يمكن ان ترتقي

وتحيا الا بزوال هذه الاسباب وليس ذلك بعزيز على ابناء وطننا الكرام اذا توفرت لديهم قوة الارادة والرغبة ·

بقي علينا ان نعرف ماهي الصناعات التي يمكن ان يشتغل بها المصريون فتستفيد بلادهم وتعود عليهم بالنفع ·

فالذي نراه ان ليس كل صناعة تفيد البلاد بدرجة معلومة او يسهل على المصريين الاشتغال بها فقد كنا ننادي منذ بضعة اعوام بوجوب انشاء معمل للورق ونعتقد ان هذا اصلح مشروع يفيدنا كل الفائدة حتى ضمنا مجلس مع زميلنا صاحب المؤيد الاغر وكان معنا احد وكلاء فابريقات الورق في اوربا فدار بيننا الحديث بهذا الصدد فتجلت امامنا الحقيقة وعلمنا انه لا يمكن ان يتم مثل هذا المشروع لان المادة التي يستخرج منها الورق في البلاد الاوربية (وهي عبارة عن نوع من قشور الاشجار الكثيرة الانتشار في تلك البلاد الافرنجية) رخيصة جداً لا تقاس بمادة الورق الذي يصنع عندنا وهي الخرق البالية وقد تثبتنا من حقيقة هذا القول وتأكدنا صحته بعد التحري والبحث الدقيق فاذا انشأنا في مصر معملاً للورق فلا يمكننا حينئذٍ ان نجاري المعامل الاجنبية ونزاحمها بناء على هذا السبب · على انه اذا كان لا يتيسر لنا مجاراة غيرنا في هذا المشروع فلا يكون ذلك داعياً الى احجامنا عن مشروعات أُخرى صناعية كثيرة واهمها عمل فابريقة للغزل والنسيج مثلاً وغير ذلك من الفابريقات التي كانت كثيرة الانتشار ببلادنا في عهد ساكن الجنان محمد علي باشا مصلح مصر العظيم وشهد الملا باهميتها وشدة لزومها وفائدتها وقد صارت الآن اثراً بعد عين ·

ويسرنا ان هذه الافكار بدأت تنبعث في صدور الاهالي وكبار ابناء الامة فنهضوا في هذه الايام الاخيرة نهضة شريفة لاحياء الصناعة في هذا

القطر نؤمل ان يكون وراءها النجاح العاجل ان شاء الله وما على الحكومة الا ان تمهد سبيل الفلاح لهؤلاء الافاضل وتذلل امامهم كل العقبات والعثرات والاولى ان تكون هذه المشروعات بيد الوطنيين ولمصلحة المصريين حتى تكون الفائدة منها مضاعفة مزدوجة ويبقى مالنا بيدنا فلا تطاول اليه يد الغير فتغتاله وتستنزفه ·

ولتعلم الحكومة انها اذا ساعدت على تعميم الصناعة في البلاد عملت على نشر لواء الامن والراحة لان البطالة وضيق نطاق الارتزاق من اكبر اسباب الفساد وانتشار الجرائم وتعدد المجرمين ·

وقد ادرك ذلك ابناء الغرب المتمدنون فجعلوا السجون مدارس لتعليم الصناعة وتعميمها بين المسجونين حتى اذا خرج المجرم من سجنه ورأى نفسه قادراً على الاشتغال بصناعة شريفة عدل عن ارتكاب الجنايات والآثام ولم يعد يندفع مع تيار الفساد ·

وقد نشرنا في هذا الجزء صورة غرفة من غرف تلك المدارس او (السجون) الصناعية وهي مدرسة «درهيل» الانكليزية · وقد تصرف الحكومة على كل واحد من هؤلاء المسجونين نحو ٢ شلن في كل أسبوع ولكنها تنتفع من وراء اتعابهم باضعاف هذا المبلغ وبهذه المثابة تستفيد هي اولاً ثم تفيد الهيئة الاجتماعية اجل فائدة ·

ويسرنا ان حكومتنا السنية علمت اخيراً شدة الحاجة الى هذا الاصلاح العظيم فحذت هذا الحذو وانتهجت هذه الخطة وادخلت الى اغلب السجون المصرية تلك الاصلاحات الضرورية وجمعت كل المتشردين في الطرق والشوارع من الاحداث فادخلتهم الى مدرسة صناعية انشأتها لاجل تعليمهم وتربيتهم



﴿ احدى غرف مدرسة درهيل الانكليزية ﴾

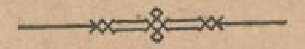
« لتعليم الاحداث من المذنبين الفنون والصنائع »

فظهرت نفحاتها العظيمة واثنى جميع الناس على ما ظهر لهم من ثمراتها المفيدة

على ان الذي نطلبه ونستلفت اليه انظار الساعين في تعميم الصناعة هو ان يجعلوا للمبادي العلمية دخلا في تعليم الصناعات على اختلاف انواعها حتى يتمكن الصانع فيما بعد من التفنن في اتقان صناعته وتحسينها ما دامت مبنية على اساس علمي فانك اذا سألت مثلاً سمكرياً مصرياً عن سبب عمل ثقوب كثيرة في أعلى كل فانوس لعجز عن الجواب مع انه لو كان متعلماً لاجاب ان السبب في ذلك هو لكي يسهل مرور الهواء فيتحد الاوكسجين الموجود به مع الجسم المشتعل وبهذه الطريقة يتم الاشتعال . ولا شك ان فقدان مزية الابتكار والاختراع بين صناعنا مع ما اشتهر به المصري من الذكاء وحسن الاستعداد هو لحرمانهم من هذه المبادي العلمية التي لا حياة ولا تقدم للصناعة الاَّ بها نسأل الله ان يلهمنا الى ما فيه اصلاح الحال وحسن المآل .

استلفات نظر

ابتدأنا منذ اليوم نوزع الهدايا المذكورة في امتيازات مشتركي المفتاح على الذين سددوا اشتراك السنة الاولى التي انتهت بصدور هذا الجزء فنؤمل ان لا يضن علينا باقي الذين لم يدفعوا بعد بارسال هذه القيمة الزهيدة فلا يحرمون من هذه الهدايا النفيسة



﴿ الطباعة والصحافة ﴾

(تابع ما قبله)

كانت الصحافة في مبداء امرها عبارة عن اوراق مكتوبة تعلق على جدران المحلات العمومية والمنتديات الرسمية وابواب المصالح والدواوين تأخذ الحكومات رسماً على قرأتها وقد اصطلحوا على تسمية هذا الرسم بالغازيته ومنه أشتق أسم الصحافة بعد ذلك . وصارت تطلق الآن لفظة غازيته على أسم (الجريدة) ولكن لما انتشرت الطباعة دخلت الصحافة في دور جديد من الخطارة و بعد الانتشار حتى صارت بعض الجرائد اليومية الخطيرة تطبع الآن اكثر من عشرة ملايين نسخة كل اربعة وعشرين ساعة والناس يتهافتون عليها فيقرأونها ويستفيدون منها وكانت الصحافة في مبداء هذا الانتشار معتبرة من وسائل اللهو والتسلية البسيطه تتدا ولها الايدي اوقات الفراغ لاجل هذا الغرض ولكنها لم تلبث أن اصبحت بعد ذلك احدى اركان العمران والتقدم الادبي بين الامم والشعوب الحيه وصار الناس يستفيدون منها في اشغالهم اليومية وكل احوالهم الخصوصية ويندر ان تظهر جريدة في عالم الغرب الا وفيها شيء من هذه الفوائد الجليلة ولسنا نريد الآن ان نظهر فائدة الصحافة وما وصلت اليه من التقدم الباهر في هذا العصر او نقارن حالتها في مصر بما هي عليه في هاتيك الامصار فاننا قد وفينا هذا الموضوع حقه من البحث في الاجزاء الماضية ولكننا نريد ان نورد بعض الذي نعلمه عما وصل اليه شأن الصحافة الآن في البلاد التي عرفت مزاياها وفوائدها وقدرتها حق قدرها وفي ذلك كل النكاهة واللذة

اشهر جرائد الدنيا على الاجماع جريدة التيمس ومن غريب امر هذه الجريدة انها تصدر كل يوم في حجم كبير وفيها من المواد المطبوعة بحرف دقيق ما يكفي لعشرة أو عشرين عدد من اعداد اكبر جريدة عربية عندنا ولها مدينة خاصة قائمة بذاتها في وسط مدينة لندن الكبرى تشتمل على الالاف من البيوت المبنية على نفقة ادارة التيمس لسكنى عمالها العديدين وهي تتقاضى من كل واحد منهم أجرة زهيدة في مقابل سكنه وفي مدينة التيمس هذه كل ما يلزم أيضاًمن الفنادق والمطابخ ومحلات الملبوسات وكلها

تشتغل لحساب ادارة التيمس وعمالها

ولما كانت جريدة التيمس لسان حال الحكومة في بلاد الانكليز ولها النفوذ الاكبر والرأي الاعلى فقد اوصلت خطاً تليفونياً الى محل اجتماع مجلس الوزراء ولها في غرفة المجلس مندوب خاص ينقل اليها اخبار المجلس في حينها وكل ما يدور بينهم من المناقشات بالتفصيل وصفافو الحروف في مطبعة التيمس يجهزون تلك الاخبار مستعينين بالآت خصوصية للسرعة والتشهيل فلا يكاد ينتهي المجلس حتى تكون قد صدرت الجريدة وفيها اخبار المجلس قبل وصول اعضائه الى منازلهم

وقد اشتهرت جريدة التيمس بالسخاء في انفاق المال للحصول علي الاخبار بسرعة فائقة ومما يروي عنها من هذا القبيل انها ارسلت من قبلها مراسلاً لمرافقة الجيوش في حرب القرم المشهورة ليوافيها بالاخبار البرقية عن هذه الحرب وخولت له ان ينفق ما شاء من المال في هذا السبيل بلا مبالاة فما كان منه الا ان استأجر مصلحة التلغراف على حسابه كل النهار حتي لا يستطيع احد سواه من مكاتبي الجرائد الاخرى ان يسبقه في نقل الاخبار وبذل لهذا الغرض مالاً طائلاً ولكن ذلك عاد على جريدته بالنفع والفائدة فزاد عدد مشتركيها نحو مليونين لهذا السبب • ومن اعظم جرائد الدنيا ايضاً جريدة نيويورك هرالد الشهيرة ومن غريب امرها ان لها اسلاكاً برقية ممتدة على نفقتها الى كل عواصم الدنيا الشهيرة ويروى انه لما طعن احد الاشقياء رئيس جمهورية فرانسا الاسبق المسيو كارنو بباريس في منتصف الليل لم يكد يبزغ نور الفجر في اميركا حتى قرأ سكانها هذا الخبر في جريدة النيويورك هرالد مع بعد المسافة بين البلادين بل الاغرب من ذلك ان الجريدة المحكى عنها صورت صورة كبيرة في صفحاتها تمثل هذا المقتل الفظيع وقد تم كل ذلك في بضعة ساعات من الهزيع الاخير من الليل ولا نخال القاري الا قد اندهش من هذه الرواية ولكن اذا علم السبب بطل العجب والمسألة بسيطة لا تستوجب الحيرة والاندهاش فان مراسل النيويورك هرالد بعث الى جريدته ذلك الخبر الهائل على اسلاكها البرقية ثم اشتغل معمل التصوير الخاص بتصويره على نور الكهربائية ليلاً (لان عمال هذه الجريدة يتوزعون للعمل ليلاً ونهاراً بلا انقطاع) وبهذه المثابة عرف سكان الدنيا الجديدة خبر هذه الحادثة قبل ان

يعرف سكان باريس نفسها (محل الواقعة) شيئاً من تفصيلاتها ٠

وجريدة النيو يورك هرالد مع كل هذه الشهرة التي نالتها نشأت صغيرة القدر قليلة الاعتبار في منتهي الضعف والفقر وكان صاحبها الاول يؤلفها و يصف حروفها و يطبعها بيده ثم يجول منتقلاً في الشوارع لبيعها ولكن دخلها الآن يقدر بالملايين من الليرات وعشرات او مئات الملايين من الفرنكات وفي ذلك احسن قدوة للاقدام والثبات ٠

وهناك جريدة اخرى في اميركا تدعى (النيو يورك جورنل) جعلت دأبها ارسال المندوبين والوكلاء على نفقتها في كل صقع لانقاذ التائهين في الصحارى والقفار وتخليص المسجونين ظلماً وعدواناً لاغراض سياسية او مآرب فاسدة وقد تمكنت هذه الجريدة بنفوذها المادي والادبي من انقاذ حياة فتاة كوبية قضت عليها شريعة حاكم ظالم بالسجن المؤبد مع كل انواع التعذيب جزاء لها على طهارة ذيلها ومحافظتها على صيانة عرضها من العبث ٠ ولهذه الحادثة التاريخية رواية طويلة لا محل لذكرها الآن وربما اتينا على ذكرها موضحه بالصور والرسوم في غير هذا المقام ٠

وللجرائد في فرانسا شهرة كبيرة ونوادر كثيرة لا تقل أيضاً عن جرائد اميريكا وانكلترة ومما يؤثر عن جريدة الماتن الشهيرة ان صاحبها تمكن من تأليف قلوب نحو اربعين الف نفس من الفرنساويين على جمع اكتتاب عظيم لانشاء سفينتين حربيتين عظيمتين من السفن الغطاسة تحت الماء وقد نجح في مشروعه ونال مجداً عظيماً وفخراً ليس بعده فخر ٠

وقد روى لنا احد الاصدقاء ان الملحق المصور الاسبوعي من جريدة البيتي جورنال (وله شهرة كبيرة في مصر) يطبع منه اكثر من عشرة ملايين نسخة للمشتركين ويباع منه ما يقرب من ذلك في الطرق والازقة وله بناية هائلة لا تذكر في جانبها قصور المصالح والدواوين الكبرى تتخلله عشرات من النوافذ تباع فيها نسخ الجريدة كما تباع طوابع البريد عندنا بزحام عظيم وجلبة هائلة والسابقون هم الفائزون حتى اذا مر احد الناس من هذه الجهة في ذلك الوقت يندهش اندهاشاً عظيماً لانه لا يرى الا جماهير تمر امامه كالبحر الزاخر حاملة هذه الجريدة المصورة

وقد تفنن الاوربيون في عمل الجرائد حتى ترى الجريدة الواحدة قد تصدر اكثر من مرة في اليوم الواحد وبعضها تطبع على الاقمشة والمناديل وهناك نوع من الصحافة تعرف بالتليفونية لانها توصل الاخبار الى مشتركيها بالتليفون في أوقات معينة من اليوم فتغنيهم عن القراءة والمطالعة وجرائد فونوغرافية يجتمع في ادارتها المشتركون فتنبئهم الآلة الفونوغرافية باهم الاخبار والانباء وهم وقوف على الاقدام الى غير ذلك مما يدهش ويحير فما اقدر الانسان على الاختراع والتفنن اذا توفرت لديه قوة الارادة . وغزارة المادة . ولا نخال الجرائد في مصر تستطيع ان تصل الى هذه الدرجة الا اذا كان لها من عدد المشتركين ما لهذه الجرائد العظيمة . وهذا لا يتأتى لا بعد زمن ليس بقصير حتى تنتشر المعارف في جميع اصقاعها ويتسع نطاق العلم فيها واصبح التعليم اجباريًا بين اهلها



القسم العلمي

آيات الطب ومعجزاته

حضرة المصري الغيور صاحب المفتاح الاغر

سألكم احد الادباء في باب السؤال والاقتراح بالجزء العاشر عن رأيكم في مسألة معالجة طبيه غريبة جرت على يده واجبتم على ذلك بما فيه الكفاية وقد ذكرني ذلك بالكتابة في موضوع طالما دار في خلدي ولوج بابه وشق عبابه وهو هذا : (آيات الطب ومعجزاته) فالرواية التي ذكرها ذلك الاديب في مجلتكم الفيحاء واجبتم عليها إن هي إلا نقطة من بحر في آيات الطب ومعجزاته وها انني اوافيكم ببعض ما قرأته او رأيته من هذا القبيل بالتفصيل :

قرأت في احدى المجلات العلمية الخطيرة خبرًا مؤداه ان الدكتور الاميركي كورنينج (ولا يفوتك ان اميركا بلاد العجائب والغرائب) تمكن من اختراع طريقة لاستبدال الاحلام

الثقيلة المخيفة باحلام جميلة بهيجة وكان الغرض الاصلي من هذا الاختراع تخفيف آلام المرضى الذين تنتابهم هذه الاحلام الثقيلة في غالب الاحيان اما هذا الاختراع فهوان يلبس الدكتور رأس المريض عراقية من عراقيات النوم مصنوعة من نسيج لطيف فتغطي الرأس كله الا الوجه ويكون فيها عند الاذنين ثقبان تبدو منهما الاذنان . ومتى ظهرت الاذنان من فوق العراقية وجدتا غطائيين معدنيين مجوفين عالقين بالعراقية (طاقية) ينطبقان على الاذنين وكل من هذين الغطائيين يتصل به انبوبة من الكاوتشوك طرفها الواحد عالق بالغطاء والعراقية والثاني متصل بآلة ناطقة (فونوغراف) ومتى لبس المريض هذه الآلة في رأسه التي على مقعد او ديوان يعلوه غطاء كثيف يمنع النور من النفوذ اليه ويكون ذلك في غرفة مظلمة وخارج هذه الغرفة توضع آلة لعكس النور على وجه بهيج جداً يتصل بالغرفة المذكورة . فاذا نام المريض في هذه الغرفة والآلة تعكس النور البهيج امامه وفي اذنيه انبوبة الفونوغراف بداء عكس النور في الآلة المعاكسة فابتهجت بذلك عيناه واخذ الفونوغراف بترديد غناء مفرح فينشرح صدر المريض بهذه اللذات الداخلة اليه من اذنيه وعينيه واشد ما تكون هذه اللذات تأثيراً عندما يدب النعاس في جفنيه قبل ان يفقده الرقاد حسه وتبقى االلذة مؤثرة عليه حتى بعد استغراقه في النوم فلا يعود يحلم الا احلاماً لذيذة جميلة وقد جرب هذا الاختراع وظهر نفعه جلياً .

وقرأت أيضاً في هذه المجلة خبر رجل ايطالي من سكان كاليفورنيا يدعى بانزيني كان في معدته تورم ينغص عيشه ويحرمه طيب الحياة فقصد الدكتور مكدونالد في سان فرنسيسكو ليستشيره في مداواة دائه فابلغه الدكتور انه لا بد من استئصال سبب الداء بعملية شديدة الخطر يرجح انه يموت بها واذا لم يمت بعدها لا يعيش طويلاً . ولما كان هذا الايطالي لا يجد في الحياة لذة استصوب ان يخضع للعملية فالقاه الطبيب على مائدة بعد تخدير اعصابه وشق جسمه بآلته وكان غرضه من قوله استئصال سبب الداء استئصال المعدة نفسها لانها مركز الداء فقطعها بخفة ومهارة غريبة ثم اخذ المريء (بلعوم الطعام) فجذبه قليلاً الى الاسفل وتناول المعاء فجذبه قليلا الى فوق حتى التقيا فتناول حينئذٍ خيطاً حريراً وخيطهما به واطبق جوف الرجل والقى المعدة على الارض فاصبح الرجل بلا معدة ومن غريب ما

جرى بعد ذلك ان الرجل عوضاً عن ان يموت تعافي كثيراً واصبح في صحة لم يكن يحلم بها وكثرت قابليته للطعام وهو لم يزل حي يرزق يعيش من عرق جبينه ويشتغل اشغالاً شاقة وقد قامت فيه الامعاء مقام المعدة ٠

ومن معجزات الطب الحديثة اشتغال علمائه باحياء الموتى بعملية جراحية وقد ذكرني بذلك ما قرأته في مجلة المفتاح منذ سنة اشهر او اكثر تحت عنوان (كمون الارواح في الاجسام او أحياء الميت) اذ استعمل الاطباء طريقة سحب اللسان بآلة مخصوصة وبطريقة منتظمة للتأكد من صحة الوفاة او عدمها اذا كانت الروح لم تزل كامنة في الجسم ٠ ويا ليت البحث الطبي وقف عند هذا الحد بل الاغرب من ذلك ما قرأته في هذه الاثناء من ان الاطباء توفقوا الى عمل طريقة لاعادة الحياة الى الميت ولو على هيئة غير كاملة ومستوفية كل الشروط وكيفية ذلك انه من المبادي الطبيه المقررة ان اعادة الدورة الدموية الى الجسم بعد وقوفها يكفل اعادة الحركة والحياة الى الجسم فتوصلاً الى ذلك جعلوا طريقة الضغط باليد على القلب وتحريكه حركة تشبه حركته اثناء الحياة فيعود الدم الى دورته ويوزع على اعضاء الجسم طبقاً لعادته فتعود الحياة الى الانسان بعودة دمه الى الدوران وقد جربت هذه العملية مع بعض الحيوانات فظهر فيها بعض النجاح ثم جربت في جثة شاب عمره ٢٤ سنة فعند اجراء هذه العملية ظهرت على الجثة بعض علامات الحياة اذ فتحت العينان في هذه الجثة ونظرت الى من حولها كأنها عرفتهم ثم اغمضت العينين ثانياً فكانت هذه الحياة الوقتية اشبه شيء بالبرق اذا خفق خفقة ثم خبا او كالشمعة اذا اخذت في الانطفاء فهبت عليها نسمة زادت نورها قليلاً وبعد ثلاث دقائق مات ذلك الشاب ثانياً موتاً حقيقياً ٠ وعلى اثر ذلك بداء العلماء يدققون البحث في هذه المسألة وهم يؤملون الوصول الى كشف النقاب عنها في يوم من الايام

الي غير ذلك من الحوادث المدهشة والمعجزات الغريبة التي يحول دون سردها وتعدادها ضيق المقام وكلها تدل على ان للطب من المعجزات والآيات ما يحير الافكار ويذهل العقول ولو هب اسلافنا من القبور وعلموا ما وصلت اليه حالة المباحث العلمية في هذا العصر لاخذهم العجب والذهول وانكروا وجودهم في العالم الذي كانوا فيه ٠ فيالله ما اقوى نفوذ هذا السلطان

العظيم الذي يسمونه العلم في هذا العالم وما اعظم شرف تلك العقول الكبيرة التي لا تمل من البحث والتنقيب وراءه (ا٠ ف)



باب السؤال والاقتراح

خوارق الطبيعة

(المنصورة) توفيق ٠ع — بلغني انه يوجد في الولايات المتحدة باميركا محل خاص لتعديل اعضاء الجسم من مثل اطالة الانف او الآذان او وضع غيرها اذا كانت مشوهة او تالفة او مقطوعة وانه هنالك ايضاً فئة من الاطباء تستطيع ان تطيل قامة الانسان او تقصرها وقد عجبت لذلك كثيراً ولم اكد اصدقه ولذا جئت اسألكم في هذا الصدد

(المفتاح) اما وضع اعضاء جديدة في الجسم لمنع التشويه فهذا امر معروف لا ريب فيه وفي اوربا واميركا معامل طبية كثيرة تشتغل بذلك وهي ناجحة في عملها واما اطالة القامة او تقصيرها فهذا ما لم نسمع به الى الآن ولا يمكن ان يقدم رجال العلم على ذلك مهما تفننوا وتوسعوا في اكتشافاتهم العلمية ومباحثهم الطبيعية لان هذه من اسرار الطبيعة المجهولة وخوارقها المستحيلة على ان للغذاء والعادات والوراثة بعض التأثير في ذلك ولكنه مع ذلك تأثير غير مطرد وليست له قاعدة ثابتة ٠

هل في النوم لذة

(شبين الكوم) مينا افندي جرجس — ضمني مجلس مع بعض الاخوان فدار بيننا الحديث في مسألة تضاربت فيها الافكار وتشعبت المذاهب فاحببنا ان نعرضها عليكم لتروا رائكم فيها وهي هذه : متى يشعر النائم بلذة النوم ٠

(المفتاح) النوم هو عبارة عن سكون الحواس وتوقف المشاعر عن تأدية وظائفها

لطلب الاستراحة التي لا بد لها منها فالنائم اذن لا يشعر بلذة ولا ألم ولكن اللذة الحقيقية المقصودة بالذات ليست في النوم بل في النعاس الذي هو اول درجات النوم حيث تبتدي الحواس في السكون ويبطل فيها الاحساس رويداً رويداً ففي هذه الحالة يشعر الانسان باللذة لانه يكون غير فاقد للحواس مرة واحدة حتى اذا اتته سنة النوم لم يعد يشعر بشيء على الاطلاق .

وكذلك توجد اللذة عند ابتداء اليقظة والتنبيه شيئاً فشيئاً حيث تستجمع الحواس قواها وتعود الى تأدية وظيفتها بالتدريج فاللذة اذن ليست في النوم نفسه ولكنها في النعاس الذي هو اول درجاته والشروع في اليقظة والانتباه ولا لذة في النوم ولا الم

﴿ خاتم غريب ﴾

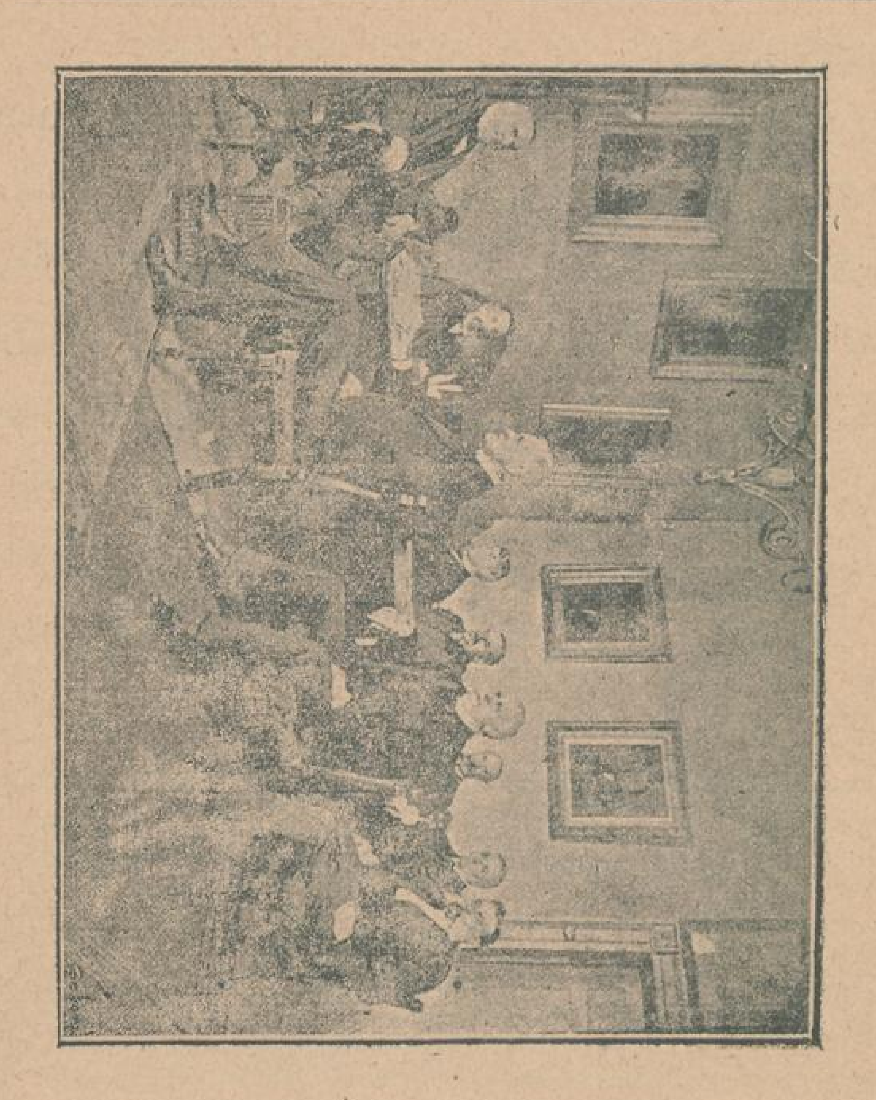
(مصر) موسى افندي امين — شاهدت فص خاتم منير كالبلور داخله صورة تمثل هيئة رجل جالس على كرسي ومهما قلب الانسان هذا الخاتم بطنا الى ظهر لا تنعكس هذه الصورة ولا تتغير هيئتها بمعنى انها تبقى حافظة لشكلها فلا تصير رأس الرجل في اسفلها ورجليه في اعلاها فما رأيكم في ذلك وهل هذا الخاتم مسحور يا ترى

﴿ المفتاح ﴾ لا يمكننا ان نبت حكماً في مسألتكم هذه الا بعد مشاهدة هذا الخاتم الغريب لانه ربما كانت هذه الصورة موضوعة في ذلك الخاتم على شكل هندسي مخصوص والا فاننا لا نعتقد بما يسمونه السحر وكل شيء يجري في هذا العالم تحت ناموس طبيعي لا يختل ميزانه ولا يتغير وضعه وكل ما عزى الى هذه القوة المزعومة ليس هو في الحقيقة ألا من الاوهام التي لا تجوز الا على عقول السذج والعوام

﴿ مرض الانحلال ﴾

(امبابه) ابراهيم افندي ميلاد — . . . . . .

﴿ المفتاح ﴾ لادواء للداء الذي تشخصونه غير الاعتدال في كل الاعمال والتصرفات والانتظام في المعيشة من مأكل ومشرب والامتناع عن السهر في محلات الملاهي وعدم تعاطي المسكر والاكثار من الرياضة وتبديل الهواء وبهذه المثابة تتجدد القوى وينتعش الجسم وعلى كل حال فلا بد للمصاب من استشارة الطبيب



﴿ المستر ما كنلي مع باقي زملائه من الوزراء في جلسة رسمية ﴾

باب التقريظ والانتقاد

﴿ انتقاد واجب ﴾ اننا ننتقد على نظارة معارفنا العمومية انتقاداً يوافقنا عليه كل نزيه مخلص وهو ان كتب المطالعة التي تدرس في مدارسها كلها خالية مما يبعث في صدور الطلبة روح النشاط وحب الاقدام بل ان اغلبها يدور رحى البحث فيها على فائدة الصبر والرضى بما قدره الله والقناعة وفائدة الحلم والصفح عن المسيء وغير ذلك من الامور التافهة

التي تضر اكثر مما تنفع وتبث في نفوس التلامذة روح الجبن والخوف والخمول والذي يقارن ذلك بكتب المطالعة الافرنجية يجد بوناً شاسعاً وفرقاً كبيراً فان الثانية تتضمن شيئاً كثيراً عن فائدة الاجتهاد واضرار الكسل وفضيلة الشجاعة والثبات والاقدام على عظائم الامور فيشب الطفل وقد تربت فيه هذه الاميال الشريفة وصارت ملكة راسخة في نفسه لان التعليم في الصغر كالنقش على الحجر وقد تكون هذه الكتب موضحة بالصور والرسوم وهذا مما يزيدها اهمية وفائدة فما احرانا باتباع هذه الخطة المثلى والجادة المستقيمة وما احرى نظارة المعارف بتنشيط ومكافأة من يتقدم على التأليف في هذا الصدد اذا كانت نزيهة مخلصة

وزد على ذلك ان المدارس المصرية محرومة أيضاً من وجود كتب للانشاء مع ان هذا فن جليل وهو مقرر في بروجرام المعارف وله المقام الاول في امتحانات الشهادات . نعم ان فن الانشاء من الفنون التي لا تلقن من كتاب واحد ولا تؤخذ عن معلم مخصوص بل ان اكتسابها والتضلع او التوسع فيها نتيجة المزاولة والتمرين وكثرة المطالعة في كتب عديدة ولكن مهما يكن من ذلك فان وجود كتاب اساسي يعتبر سلماً للانشاء امر لا بد منه لترشيح الطلبة واعدادهم لمطالعة المطولات والموسوعات .

ومما يستوجب الانتقاد ايضاً من هذا القبيل ان بعض اللجان التي تقف على طبع كتب لمؤلفين آخرين من الذين انتقلوا الى عالم البقاء في هذه النظارة تتجارى على الادعاء بانها نقحت هذه الكتب وتذكر ذلك علناً في صدر الكتاب مع ان مؤلفه ربما كان استاذاً لاعضاء هذه اللجان واكثر منهم علماً وفضلاً بما لا يقاس وهذا ليس من الآداب وسلامة الذوق في شيء مثال ذلك كتاب الفوائد الفكرية لمؤلفه العلامة المرحوم عبد الله باشا فكري لما ارادت نظارة المعارف ان تعيد طبعه على نفقتها بعد وفاة مؤلفه تشكلت لجنة للوقوف على طبعه فزعمت انها نقحت الكتاب مع ان اعضاء هذه اللجنة من اصاغر الكتاب الذين لا يصح ان يكونوا من منقحي كتاب لعالم فاضل مثل عبد الله باشا فكري وهم لا ينقحون الكتاب فعلاً ولكنهم يقفون على طبعه فقط و يصححون الاغلاط المطبعية وهذا لا يسمى تنقيحاً في قاموس اللغة العربية فعسى ان يعير رجال المعارف هذه الملاحظات جانب الالتفات فاننا لا نقصد من ذكرها الا محض النصح والقيام بواجب الخدمة الصحافية

والله العليم بذات الصدور .

﴿ شكر واعتذار ﴾ وردت الينا عدة مقالات من كثيرين من الادبا في مباحث مختلفة وفي جملتها مقالة من حضرة الفاضل احمد افندي الباجوري بنيابة فاقوس عن ماهية الكرم واخرى بقلم حضرة الاديب عبد الملك افندي ذكي بيوسطة طهطا عن فائدة الثبات وثالثة من جناب الشاب المهذب بطرس افندي صهيون بقنا عن فائدة الجرائد وعدة اقتراحات مفيدة وقد منعنا ضيق المقام عن نشر هذه المقالات فنثني على حضرات منشيئها ونعتذر اليهم على عدم نشرها .

«ماية مسألة ومسألة حسابية »

هي الرسالة الثانية من الكتب المفيدة التي تعود على اتحافنا بها حضرة الشاب الاديب البارع رشدي افندي كمال من موظفي السكة الحديد تتضمن شيئاً كثيراً من المسائل الحسابية المعضلة وكيفية حلها مما يهم كل مشتغل بهذا العلم ويفيد طلاب الشهادات خصوصاً وقد جاءت هذه الرسالة اكثر فائدة واغزر مادة مما سبقها فنحث الادبا على اقتنائها والاستفادة منها

﴿ السمير الصغير ﴾ دخلت مجلة السمير الصغير الغراء (وهي من افضل الجرائد المدرسية الادبية واقدمها عهداً) في سنتها الرابعة وقد أدخلت اليها جمعية التأليف العلمية التي تحررها وجناب مديرها الفاضل عوض افندي خليل اصلاحاً كبيراً فصارت الآن اكثر فائدة واغزر مادة واوسع نطاقاً فنسأل لهذه المجلة الفريدة نجاحاً وفلاحاً ونحث الادباء على مطالعتها .

﴿ رواية تاريخية ﴾ واهدانا حضرة الفاضل ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية نسخة من رواية محمد علي باشا الكبير وهي تاريخية تمثيلية جميلة مزينة برسوم كثيرين من اعضا العائلة الخديوية الفخيمة وولاة مصر السابقين فنثني على حضرته ونحث الادبا على اقتنا روايته .

﴿ كتب مفيدة ﴾ اهدانا حضرة الاديب ناشد افندي عبد الملك نسخة من روايته كشف القناع عن غرائب الخداع وهي ادبية تاريخية جليلة الموضوع جميلة الوقائع

منسجمة العبارة وتطلب من حضرة مؤلفها بعنابر السكة الحديد واتحفنا حضرة الشاب المهذب جرنت افندي اسكندر بنسخة من رواية السيد الشهيرة التي دبجها يراع فقيد الادب الشيخ نجيب الحداد وهي مطبوعة طبعاً جميلاً بالالوان على اجود ورق وابدع حروف فنثني على طابعها الاديب ونحث الادبا على اقتنائها ٠

واطلعنا على كتب الترجمة الانكليزية التي وضعها جناب الفاضل جرجس افندي اسكاروس واوضح فيها ما اعجم من كتب المطالعة الانكليزية (رويال ريدر) فوجدناها على غاية ما يرام من حسن الاسلوب وهي تصلح ان تكون قاموساً للطلبة يغنيهم عن المرشد في الدرس والمطالعة فنشير على نظار المدارس باستعمال هذه الكتب المفيدة وهي تطلب من صاحبها بعنابر السكة الحديد بمصر

رسوم المجلة

سعادة السير بطرس باشا غالي نشرنا صورة سعادته في الجزء الماضي والآن نأتي على ترجمته فنقول :

ان في ترجمة هذا الرجل العظيم والشهم الهمام أعظم درس في الاجتهاد والنشاط فانه حفظه الله لم ينل ما ناله من المجد وعلو المقام الا بالاستحقاق والتعويل على النفس والاقدام

ولد حفظه الله في بلدة الميمون بمديرية بني سويف سنة ١٨٤٦ ميلادية من أبوين كريمين هما من كبار أعيان طائفة الاقباط الاورثذكس وكان حضرة والده غالي بك نيروز اذ ذاك موظفاً في الدائرة الخاصة الخديوية فاُعنى بتربية ولده أحسن اعتناء ثم أدخله احدى الكتاتيب الابتدائية في بندر بني سويف ولما توسم فيه النجابة والذكاء أرسله الى القاهرة وادخله مدرسة الاقباط الكبرى التي أسسها يومئذ الطيب الذكر البطريرك الأنبا كيرلس الشهير فتلقى فيها بعض العلوم العربية ومبادي اللغة الافرنسية ثم درس اللغة القبطية على المعلم برسوم الراهب المشهور بتدريس هذه اللغة

ثم أرسله بعدئذ الى أوربا ليتلقى فيها العلوم والمعارف اتماماً لدروسه فنبغ في مدارس

أوروبا وحاز قصب السبق على رفاقه

ولم يلبث بعد عودته زمناً طويلاً حتى انتظم في عداد موظفي الحكومة فعين أولاً بالدائرة الخاصة ثم كاتباً في مجلس التجارة فسكرتيراً له فرئيساً لقلم أفرنكي بنظارة الحقانية ثم عين باشكاتباً لهذه النظارة ومنح الرتبة الثانية ثم انتدبته الحكومة السنية ليكون سكرتير اللجنة الدولية التي أشتغلت بسن قانون التصفية وأظهر فيها من الهمة والنشاط ما أستوجب شكر مرؤسيه وامتنان موظفيه ومنح رتبة المتمايز الرفيعة ثم عين وكيلاً للنظارة المشار اليها نخدم فيها القضاء والوطنية أجل خدمة وتعين أيضاً سكرتيراً لمجلس النظار علاوة على وظيفته الأولى وفي أوائل سنة ١٨٨٢ منح رتبة الميرميران الرفيعة وعهد اليه في أثناء الثورة العرابية ادارة أهم أعمال الحكومة المالية والادارية بالاتحاد مع المرحوم عريان بك تادرس باشكاتب نظارة المالية يومئذ فخدم وطنه بامانة واخلاص وفي نهاية الثووة العرابية حينما رجع احمد عرابي القهقري من موقعة التل الكبير وعاد الى مصر وعقد فيها مجلساً للاقرار على عمل خط نار حول المدينة لمحاربة العساكر الانكليزية توجه اليه صاحب الترجمة مع آخرين من رجال الحكومة واقنعوه بقوة برهانهم بوجوب العدول عن هذا العمل لوخامة عاقبته فعدل احمد عرابى عن عزمه وعقد مجلساً آخر قرر فيه انفاذ وفد الى جنتمكان المرحوم توفيق باشا الخديوي السابق لاستعطافه وكان في مقدمة هذا الوفد صاحب الترجمة وكان لعطوفته اليد الطولى في وضع قانون المحاكم الاهلية وله تقارير مشهورة كلف بعملها من اولياء الامور عن أراضي مصر وضرائبها التي استشهد بها ونقل عنها سعادتلو يعقوب باشا ارتين في كتابه المسمى (بالحقائق المرعية في الاراضي المصرية)

وفي أواخر سنة ١٨٩٣ م عين ناظراً للمالية فوقع هذا التعيين لدى العموم موقع الاستحسان والسرور ولما شكلت الوزارة الفهمية الحالية عين ناظراً للخارجية وهي وظيفته الحاضرة التي قام باعبائها خير قيام وهو من كبار رجال هذا العصر ادراكا وعلماً وسياسة وادارة يحبه الخاص والعام و يحترمه الرفيع والوضيع وقد أنعم عليه قياصرة وامبراطرة وملوك أوروبا بكثير من وسامات الشرف اكثر الله من أمثال عطوفته بين المصريين

النظم والانشاء

تهنئة بهية أطلعنا على القصيدة البديعة والدرة اليتيمة التي دبجها يراع سعادة صديقنا المفضال عبد العظيم بك مصطفى مأمور دائرة دولة البرنس جميل باشا طوسون وحرمه المصون وجادت بها قريحته السيالة لتهنئة رجل العلم والفضل وعلم الفضيلة والهدى صاحب السعادة علي باشا رفاعة لمناسبة الانعام على سعادته برتبة ميرميران الرفيعة الشان وقد كنا نود ان نحلي بها جيد المجلة لولا ضيق المقام وهي كلها درر وغرر تشهد للناظم الفاضل بالبراعة والتفنن في النظم وللممدوح بسمو المنزلة وعلو المكانة

ومن بديع المنظومات العصرية قصيدة جميلة وقفنا عليها في أحد اعداد جريدة الرائد المصري الغراء يصف بها الشاعر اللبيب ما كان يخالج الافئدة من الاحساسات والعواطف عند مشاهدة مشنوق العاصمة وياحبذا لو كان شعراء العصر ينهجون هذه الخطة في النظم فانها أدنى الى القلوب وأقرب للفائدة المقصودة بالذات من النظم ولنا بهذا الصدد كلام طويل نأتي عليه في غير هذا المقام

ونظم أيضاً حضرة الفاضل قسطندي افندي داود من موظفي مصلحة السكة الحديد قصيدة بليغة العبارة هنأ بها هذه المصلحة بتشريف سمو الخديوي لعنابرها منذ بضعة أيام وهي آية في الطلاوة وحسن الانسجام

القسم الفكاهي

سرقة محللة

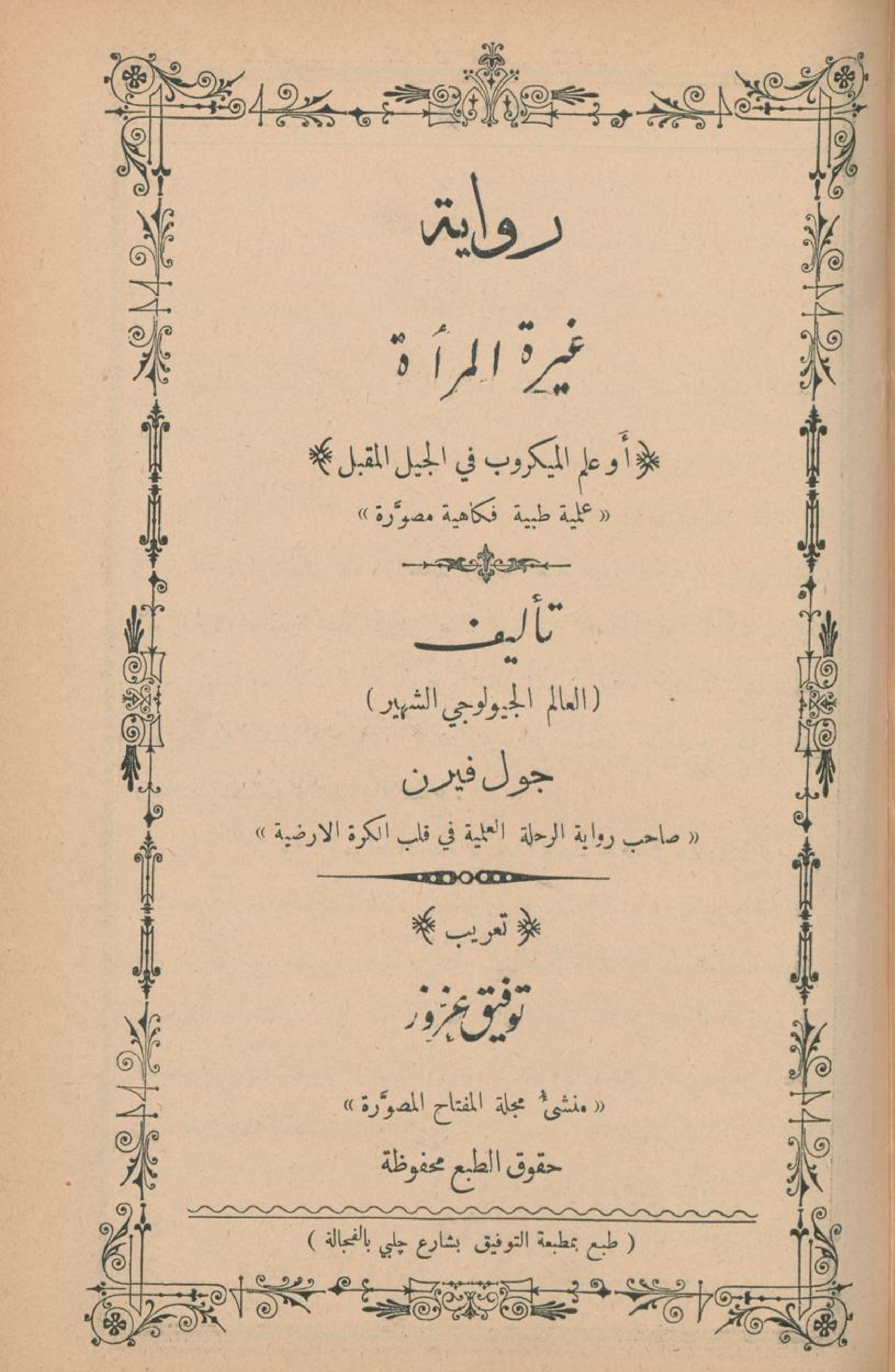
صعد أحد اللصوص على سلم في ردهة أحد ملوك فرانسا السابقين ليسرق ساعة معلقة على جدرانها ففاجأه الملك بينما كان يسرقها وكان هذا اللص سريع الخاطر كثير الدهاء والمكر فلم يضع رشده ولم يغب صوابه عند هذه المفاجأة بل قوى جاشه وجمع حواسه وتظاهر بأنه لم يرَ الملك وقال لنفسه بصوت مسموع (اني والله أخشى ان يكون هذا السلم غير ثابت فأسقط الى الارض فتقدم الملك اليه وأسند له السلم قليلاً وهو يظنه أحد خدام القصر ثم تركه وتوجه الى حال سبيله وبعد بضعة ساعات أُشيع بين حاشية الملك ان الساعة قد سرقت فقال الملك لمن حوله اياكم ان تذكروا أمر هذه السرقة بعد الآن فقد كنت شريكاً للسارق في جريمته وقص عليهم الخبر فعجبوا من دهاء ذلك السارق النبيه

ومما يروى أيضاً من هذا القبيل ان لصاً آخر دخل الى غرفة كاهن فوجد بها ساعة ذهبية موضوعة على مائدة فتناولها وطرحها في جيبه وعلى أثر ذلك قابل الكاهن صاحب الساعة المحكي عنها فتقدم اليه وقال له لقد سرقت ياسيدي الكاهن ساعة ثم وبخني ضميري فجئت اعترف لكم بذنبي واطلب الصفح والغفران وأرجو ان ترشدوني الى ما يجب عليَّ ان أفعله فقال له الكاهن اني أُسامحك على ما صدر منك على شرط ان ترد الساعة الى صاحبها فأجاب اني اطلعته على حقيقة الامر فلم يرض ان يأخذ ساعته قال الكاهن أُعرضها عليه مرة ثانية لعله يأخذها قال قد عرضتها عليه ثانياً يا سيدي فأبى قبولها قال الكاهن اذن فاقبلها منه فانها تعتبر بمثابة هدية لا محالة وعلى ذلك تركه اللص وانصرف في حال سبيله ولما خلا الكاهن بنفسه افتقد ساعته فلم يجدها فعجب من دهاء اللص ومكره

خاتمة السنة الأُولى للمفتاح

هذا آخر جزء من اجزاء السنة الأُولى لمجلتنا نزفه الى القراء الكرام ونحن نعدهم وعداً صادقاً ونعاهدهم عهداً وثيقاً باننا لا نألو جهداً في ادخال اصلاح كثير وتحسين كبير اليها في السنة المقبلة ان شاء الله تعالى سواء كان من جهة

غزارة المادة وانتقاء المواضيع الهامة او اتقان الصور والرسوم جهد الاستطاعة ·
ونعترف بين يدي حضراتهم باننا قصرنا في أُمور كثيرة في العام الماضي ولذا
نطلب منهم جميل الصفح والغفران والعفو من شيم الكرام · وسيرى القاري
الكريم في أجزاء السنة الثانية من ضروب الاتقان والتحسين ما يؤيد قولنا ويكفر
عن تقصيرنا · ولكن لما كان قوام الاعمال بالمال فنحن لا نرى بدًا من توجيه
أنظار حضرات المشتركين الذين لم يسددوا ما عليهم من الاشتراكات الى
الآن ان يتكرموا بارسالها قبل دخول السنه الجديدة اسوة بغيرهم من الافاضل
الكرام الذين أبت مكارم أخلاقهم وكريم شيمهم الا ان يلبوا أول طلب ويبادروا
الى وفاء هذه الحقوق المقدسة حتى يسهل علينا ان نصدر المجلة اكثر من مرة في
الشهر مع بقاء قيمة الاشتراك على ماهي عليه · ولا يفوتنا هنا ان نثني الثناء الوافر
على سادتنا الوجهاء الافاضل والسراة الاماثل الذين أظهروا لنا من الانعطاف والتعضيد
المادي ما اطلق لساننا بشكرهم ومديحهم ونخص منهم بالذكر سعادة الوجيه
الفاضل صاحب الايادي البيضاء على هذه المجله ﴿ قليني بك فهمي ﴾ وحضرة
صديقنا المحامي الشهير والخطيب المصقع اسماعيل بك عاصم · وحضرة عزتلو
عبد الغظيم بك مصطفى ورزق الله بك سميكه وغيرهم من أهل النبل الذين
لا ينسى المفتاح ما لهم عليه من سابق الفضل وكذلك نشكر جمهور الكتاب
والمحررين البارعين الذين زينوا جيد المفتاح في السنة الماضية بنفحات أفكارهم
ونفثات يراعهم وهم عزتلو وهبي بك · والشيخ سالم ابو نجم · وارنست افندي
انطون · وقاسم افندي هلالي · واحمد افندي محرم · واسعد افندي داود ·
ورشدي افندي كمال · ونقولا افندي ميخائيل عطيه اكثر الله من أمثالهم ولا حرم
الامة المصرية المحبوبة من آثارهم الادبية الجليلة أنه السميع المجيب



رواية

غيرة المرأة

﴿أو علم الميكروب في الجيل المقبل﴾

« علمية طبية فكاهية مصوّرة »

تأليف

(العالم الجيولوجي الشهير)

جول فيرن

« صاحب رواية الرحلة العلمية في قلب الكرة الارضية »

﴿ تعريب ﴾

توفيق عزوز

« منشئ مجلة المفتاح المصوّرة »

(طبع بمطبعة التوفيق بشارع جلي بالفجالة)

اهداء الرواية

الى سعادة النطاسي البارع والعالم الفاضل صديقنا الدكتور محمد بك علوي الطبيب المصري الشهير ·

سيدي المفضال

هذه حفظك الله وأبقاك رواية علمية طبية فكاهية وضعها العالم الفرنساوي الشهير (جول ڤيرن) وتنبأ فيها عن مستقبل علم الميكروب وما سيطرأ عليه من الادوار المختلفة والاطوار الغريبة وقد كان لنشرها باللغة الفرنساوية فائدة كبرى ولذا أقدمت على تعريبها حتى لا يحرم أهل وطني وابناء بلادي من فائدتها والانتفاع بها

ولما كنتم من أشهر اطباء مصر في هذا العصر ولكم في هذه البلاد خدم عظيمة ومآثر جليلة فقد استصوبت ان ازفها اليكم واقدمها هدية ود واخلاص بين يديكم لتفي بعض ما علينا من واجب الشكر والثناء عليكم تلقاء ما طوقتم به جيدنا من المنن · ولي ملء الامل بان تروق خدمتي هذه الحقيرة في عينيكم وتصادف قبولاً واقبالاً من سعادتكم ولا برحتم غرة في جبين الدهر وقرّة لعين هذا القطر

محسوبكم

توفيق عزوز

مقدمة

ان تهافت الادباء على مطالعة الروايات واقتنائها اكثر من غيرها من الكتب الفلسفية والمؤلفات العلمية جعل لها الشأن الاول والمركز الاعلى في عالم المطبوعات فعول الكثير من الكتاب في هذا العصر على وضع كتبهم العلمية او التاريخيه في قالب رواية قصصية لا يمل القارئ من مطالعتها ولا يتركها إلاّ اذا اتى على آخرها برمتها

وقد اغنت لغتنا العربية والحمد لله بكثير من الروايات التاريخية التي هي من هذا القبيل وحازت رضى جميع القراء والمطالعين ولكن هناك نوعاً آخر من الروايات لم يلج بابه ولم يشق عبابه احد من كتاب العربية بعد وهو الروايات العلمية البحتة التي تلخص المواضيع الفلسفية او المواد الطبيعية والكيماوية في خلال قصة ادبية تزيد المطالع لذة وفكاهة وتحبب اليه درسها ومطالعتها . فعولنا نحن على فتح هذا الباب وابتدأنا فيه بهذه الرواية العلمية التي تتضمن آراء اشهر العلماء عن مصير الاكتشافات العلمية والمباحث الطبيعية في الجيل المقبل ونحن نسأل الله ان ينفع بها قارئيها حتى تكون فاتحة الشروع في وضع روايات كثيرة من هذا النوع

١

كان المعلم بيكرمان في اواخر شهر ديسمبر سنة ١٩٣٥ متوجهاً الى داره في مدينة (برينويلد) من اعمال المانيا وسمات البشر والسرور تلوح على محياه وهو يفرك يديه بلهفة علامة على ارتياحه من الوصول الى غرض كانت تطمح اليه انظاره لان المعلم بيكرمان المذكور كان من اساتذة العلوم الطبيعية باحدى مدارس المانيا العالية وقد مضت عليه مدة ليست بقصيرة وهو يسعى جهده في ايجاد نوع جديد من الميكروب يكون أعظم فتكاً وأشد وطأة على بني الانسان

ويتذكر القراء ان الاشتغال بعلم الميكروب دخل في دور جديد منذ نصف قرن من الزمان ونجح المشتغلون به نجاحاً عظيماً في تجاربهم ونظرياتهم العلمية

وقد كان اول من اماط النقاب ورفع الحجاب عن هذا العلم في اواسط ذلك القرن العالم الفرنساوي الشهير الموسيو باستور الذي نادى بوجود هوام سامة تدخل جسم الانسان والحيوان فتفتك بهما فتكاً ذريعاً وقد سماها بعض علماء هذا العصر (بالاعداء الخفية) وهي معروفة في كتبنا الطبيعية باسم الميكروبات ·

ولم يكتف هذا العالم الطبيعي بنشر اكتشافه مجرداً عن كل دليل وبرهان بل انه ارشد الباحثين الى الطرق والوسائل التي تمكنهم من معرفة هذه الميكروبات وجمعها في مكان معين والاشتغال بتربيتها وانمائها ومن ثم ابتدأ علماء الطب في اوربا واميركا واوستراليا وافريقيا ينقبون ويدققون في اثبات هذه الحقيقة العلمية حتى توصلوا اخيراً الى كشف غوامضها واسرارها وتأكدوا ان مصدر العلل والامراض التي تحيق ببني البشر كلها ناشئة عن وجود هذه الميكروبات وتوفقوا الى درس طبيعة كل واحدة منها ومعرفة خواصها وهيئتها وكل ما يتعلق بها وادراك كيفية تولدها في الارض او الماء او الهواء

وقد حازت البلاد الالمانية في ذلك العصر شأواً عظيماً من التقدم في العلوم والمعارف فانشئت فيها المدارس العلمية العالية وهرع اليها العلماء على اختلاف طبقاتهم ومعارفهم وغصت باهل الفضل والاطلاع وذاع صيتها في جميع الاصقاع والبقاع وكان في جملة هذه المدارس العلمية العالية مدرسة (برينويلد) التي جمعت كثيراً من فطاحل العلماء وافاضلهم واشتهرت ببراعة اساتذتها ومهارتهم ·

على ان اعظم هؤلاء الاساتذة واكثرهم خبرة وتضلعاً الموسيو بيكرمان الذي هو بطل هذه الرواية ·

اما المسيو بيكرمان فقد كان مولعاً منذ نعومة اظفاره بدرس العلوم الطبيعية واستطلاع حقائقها واستكشاف غوامضها وقد كان في مبدإ الامر من طلبة تلك المدرسة العالية التي اشرنا اليها ولكنه لم يلبث أن اتم درسه واحرز قصب السبق في مضمار التقدم فنال درجة الدكتورية وانتدب استاذاً للعلوم الطبيعية في مدرسة (برينويلد)

على ان المسيو بيكرمان لم يكن مكتفياً بما لديه في دار العلم من المعدات العلمية والادوات الكيماوية التي تساعد على موالاة البحث والاكتشاف بل انشأ أيضاً في داره معملاً كيماوياً كبيراً جمع فيه كلما يحتاج اليه عالم مثله من تلك الادوات والمعدات · فكان يجد كل اللذة والارتياح في الجلوس بين زجاجات معمله وقتل اوقات الفراغ في مداعبة حشراته وميكروباته · ولكنه اتخذ كل الوسائل الفعالة لوقاية نفسه من سمومها القتالة واخطارها العظيمة

وقد انشأ المسيو بيكرمان ايضاً بقرب معمله غرفة مخصوصة تابعة له دعاها من باب التهكم والتنكيت (الغرفة الجهنمية) فكان يحظر الدخول فيها على كل احد سواه لانه خصصها لتربية الميكروبات القتالة وانمائها فان هذا كان منتهى غرامه وتولعه

اما هذه الغرفة فقد كانت دائماً مدفأة بدرجة معلومة من الحرارة ومضاءة بالانوار الكهربائية ولم يكن يدخل اليها المسيو بيكرمان الا بكل دقة واحتراس ولا يخرج منها الاَّ بعد تطهير نفسه بكل الوسائل الطبية

٢

قلنا في فاتحة هذه الرواية ان المسيو بيكرمان دخل الى منزله في مساء أحد الايام فرحاً مسروراً لانه ظفر بتنفيذ بغية طمحت اليها أنظاره . أما البغية المحكي عنها فهي ان هذا العالم الطبيعي لما رأى ان المشتغلين بصناعة الطب يحاولون تغيير بعض الميكروبات القتالة وتحويلها عن طبيعتها حتى تصبح غير مضرة او مؤذية على الاطلاق وقد نجحوا في عملهم هذا او كادوا أراد هوان يتبع المثل المشهور (خالف تعرف) فعمد الى تحويل الميكروبات الغير مؤذية الى ميكروبات مهلكة قتالة حتى يعلم الملا ان يد العلم لا تعجز عن اتيان العجائب والغرائب .

وقد قرر العلماء ان أقوى الميكروبات الفتاكة لا تستطيع قتل الانسان الاَّ بعد مضي يوم كامل او نصف يوم على الاقل وأما الميكروبات التي كان يحاول تربيتها المسيو بيكرمان فهي لا تلبث اكثر من ساعة واحدة حتى تتمم عملها بنجاح عجيب ولا تقوى وسائل الطب او تغيير الطقس على اهلاكها او اضعاف قوتها وقد تمكن عالمنا الطبيعي من الوصول الى هذه النتيجة المهمة .

أما الطريقة التي عوَّل عليها المسيو بيكرمان في اتمام هذا الاكتشاف فهو انه علم أولاً ان طبيعة هذه الميكروبات لا تختلف عن طبيعة باقي الحيوانات والبشر في شيء على الاطلاق فهي تنمو وتتقوى اذا بذل لها الطعام الجيد والغذاء السليم والعكس بالعكس وعلى هذه القاعدة الطبيعية شرع سيو بيكرمان في اتمام اكتشافه العجيب فطفق يستحضر ما أمكنه من المواد الكثيرة الغذاء والسهلة الهضم فيناولها الى تلك الميكروبات ويجدد فيها عوامل

القوة والحياة بطريقة كهربائية سرية حتى نمت ونقوت وتحوَّلت كل واحدة منها الى حشرات سامة مهلكة بعد ان كانت ضعيفة وعديمة الاذى وهكذا أَصبحت بعض نقط مفعمة بهذه الميكروبات كافية لقتل كلب كبير في مدة ساعتين من الزمان واهلاك آلاف من الارانب في أَقصر من هذه المدة ايضاً

على ان الكمال لله وحده وكل شيءٍ في هذا العالم لا بدَّ وان يعتوره العيب والنقصان فانه بقدر اجتهاد هذا العالم الفاضل واهتمامه بدرس الحقائق العلمية والمواد الطبيعية كانت امرأَته بعكس ذلك تمقت العلم وتبغض كل مشتغل به ولذا كانت معيشتها مع زوجها في حالة من الاختلاف والنزاع لا يقدر القلم على وصفها وكان زوجها التعيس يبذل كل ما في وسعه لاقناعها بحقيقة خطائها وتثقيف عقلها ولكنه كلما حاول تفهيمها نظرت اليه بعين الامتهان والاحتقار وأَوسعته لوماً وتنديداً وازدادت جهلاً وتهوراً · وكانت دائماً تصرخ في وجه زوجها وتعنفه على اقتناء هذه الميكروبات زاعمة انها تفسد كل ما في البيت من المأْكل والمشرب وتملأُ الهواء فساداً وسماً وتلح عليه بان يعدل عن هذه الاكتشافات الخرافية التي تحط من كرامته وتجعله هدفاً لسهام الهزء والازدراء وان الواجب عليه عوضاً عن ان يسجن نفسه بارادته واختياره في هذه الغرف الضيقة الملآنة بالجراثيم المهلكة يأْخذها الى محلات النزهة لترويح النفس واكتساب الصحة والعافية

وقصارى القول ان هذه المرأَة كانت تختلف عن زوجها في ميله ومشربه كل الاختلاف ولذا كان المسيو بيكرمان ينتهز فرصة فراغه من اشغاله ليبادر مسرعاً الى احدى محلات البيرة فيملأُ منها رأْسه تخلصاً من سماع تعنيف

زوجته وغلاظة عباراتها الجارحة ففي مساء ذلك اليوم المعهود كان المسيو بيكرمان قد توجه الى محل البيرة بعد مزاولة شغل متعب وعمل شاق ولكنه مع ذلك كان فرحاً مسروراً لان اكتشافه نجح نجاحاً عظيماً وبينما هو يتناول الاقداح كان غارقاً في بحار التخيلات والاوهام يقدح زناد فكرته في استنباط اسم جديد لهذه الميكروبات التي اكتشفها وراباها بمعرفته حتى يخلد له في سجلات العلم والاكتشاف أحسن ذكر وأجمل اثر · وبعد برهة من الزمان نهض على قدميه متهللاً وقال (قد وجدته قد وجدته) وكان يقصد بذلك انه وجد ذلك الاسم الذي يلقب به هذه الميكروبات وهو (صاعقة الموت) ثم هرول مسرعاً الى داره وقلبه طافح بالفرح والارتياح حتى اذا دخل الدار بادرته زوجته بالشتم والتعنيف كما هي عادتها وقالت له بلهجة التهكم والغضب ألم تلق نظرك على الساعة التي في جيبك حتى تعلم في أي وقت تريد الدخول الى دارك اني وحقك كنت اظنك عزمت على عدم الرجوع اليّ فحبذا لو فعلت ذلك فتنقضي حين ذاك أيام تعاستي وشقائي · فاجابها المسيو بيكرمان

— هدئ روعك ياعزيزتي فسانبئك الآن بخبر سار يملأ قلبك بهجة وانشراحاً فاصاخت المرأة سمعاً لزوجها وهي تظن ان كل الصيد في جوف الفرا

وعند ذلك اندفع المسيو بيكرمان في الكلام وطفق يشرح لامرأته نتيجة اكتشافه العجيب وكيف انه توصل الى ايجاد ذلك الميكروب الذي يقتل الآلاف من الارانب في خلال ساعة واحدة فهزت السيدة بيكرمان كتفيها علامة الهزء والازدراء وقاطعته في كلامه قائلة دع هذه الوساوس والاوهام لئلا يقول الناس عنك انك اصبت بنوبة من الجنون فما هكذا يكون شأن العاقلين فتركها

المسيو بيكرمان تهرف بما لا تعرف وابتدأ في تناول العشاء بلهفة شديدة بدون ان يبدي حراكاً او يفوه ببنت شفة ولكنها كلما آنست منه الضعف والسكوت ازدادت تهوراً واندفاعاً واحتدمت حنقاً وغيظاً وفي نهاية الحديث انذرته بانه اذا تغيب عن الدار مرة ثانية دخلت الى معمله نخربته وابادت كلما فيه من المعدات والميكروبات حتى يرجع الى عقله ويعود اليه رشده وصوابه ولا سيما لانها تعلم انه خبأ في هذا المعمل بعض المكاتيب والرسائل الغرامية التي يتبادلها مع عشيقته أليس

أما هذه العشيقة فهي ابنة مسكينة كانت في خدمة المسيو بيكرمان فأوقعت عليها زوجته الشبهة وادعت انه اتخذها خليلة له فطردتها من منزلها ولكنها مع ذلك كانت تتوهم ان زوجها يتردد عليها ويقضي أغلب أوقاته عندها . ولذا أنذرته هذا الانذار الرهيب حتى يرعوي عن غيه وينهج سبيل الحكمة والاعتدال . فأخذ المسيو بيكرمان يسكن غضبها ويطيب قلبها ويحوّل فكرها عن هذه الاوهام الفاسدة والمزاعم الباطلة وهي لا تزداد الاّ تهيجاً وحمقاً فقالت : لقد انبأتني احدى صديقاتي ان أليس اللعينة موجودة في هذه المدينة وانها تلبس حلة من الحرير وفي آذانها حلق من اللؤلؤ فمن أين يكون لها ذلك اذا لم تكن أنت الذي تجود عليها بهذه التحف الفاخرة والهدايا النفيسة فلا عجب اذا كنت أراك لا تعود الى منزلك الاّ في الساعة العاشرة من كل مساء

أما المسيو بيكرمان فقد كان يسمع هذا التهديد والوعيد وهو لا يعي شيئاً منه ولا يفقه له معنى لان افكاره شردت عن موضوع الحديث واتجهت الى ما هو أهم وأعظم لديه بكثير وهو ذلك الاكتشاف الطبيعي العجيب فكان

يردد على لسانه اسم هذا الميكروب ويمعن النظر فيه ليتأكد اذا كان هذا الاسم يطابق المسمى ام لا · وبعد ذلك وجه الحديث الى زوجته ليسألها عن رأيها في هذه التسمية أما هي فكانت لا تصغي اليه ولا تعيره جانب الالتفات بل استمرت في تهديدها قائلة نعم انك لم تزل تكاتب تلك المرأة العديمة الشرف والمفسودة الاخلاق وتواصلها بمراسلاتك ومكاتيبك فلا بدَّ لي من تخريب هذا المعمل الموهوم واستخراج تلك الرسائل والمكاتيب التي تخفيها فيه وعند ذلك تبيض وجوه وتسود وجوه فحذرها المسيو بيكرمان من عاقبة هذا الاندفاع وانبأها ان هذا المعمل الكيماوي وخصوصاً تلك الغرفة الجهنمية لا يستطيع أحد الدخول فيها او الدنو منها بغير ان يعرّض نفسه لسمومها ولا ينجو من خطر الموت ومع ذلك فلم يكن يعتقد في باطنه ان امرأته تتجرأ على هذا الامر لانه اعرف الناس بجبنها ومحافظتها على نفسها وقد تكررت هذه المنازعات والمشاحنات بينهما فأصبحت شيئًا عاديًا ومألوفًا لديهما

٣

هكذا كان الحال مع المسيو بيكرمان وزوجته كل يوم حتى ضاق معها ذرعاً وأَعيته الحيلة في ارداعها عن غيها فتركها أخيرًا وشأنها ولم يعد يعبأُ بتهديدها ووعيدها

وفي مساء أَحد الايام بعد ان تناولت السيدة بيكرمان العشاء دخلت الى غرفتها فانطرحت على سريرها وقد اعياها التعب وانهكها النصب بسبب صراخها وصياحها مع زوجها فملأَ النوم اجفانها · وعند ذلك قال المسيو بيكرمان في نفسه ان هذه احسن فرصة يمكنني انتهازها فعليَّ ان اغتنم ساعة نومها لاذهب الى البيرة عساني أَجد بها صديقي (سيزار) فأُنبئه بنتيجة

اكتشافي العجيب لعله يوافقني على انتقاء هذا الاسم الذي سميتها به · قال ذلك ثم نهض على قدميه ومشي على اطراف أصابعه بكل دقة واحتراس خوفاً من ان ينبه زوجته فتستيقظ من رقادها وهناك يكون البلاء الاكبر والموت الاحمر حتى اذا صار خارج الدار تنفس الصعداء واستنشق نسيم الراحة ثم بادر مسرعاً الى البيرة فلما وصل اليها التفت حوله يمنة ويسرة فوقع نظره على صديقه المعهود ومعه اثنان آخران من زملائه فلما دنا منهم بادروه بالتحية والسلام ثم قدم له صديقه سيزار كرسياً فجلس معهم وعندئذٍ فتح المسيو سيزار الحديث مع المعلم بيكرمان فقال :

لا بد ان يكون لديك ياصديقي اخبار جديدة لان سمات البشر تلوح على محياك ·

— نعم اني منشرح الصدر كثيراً لان اكتشافي نجح نجاحاً عظيما

— وما عساه ان يكون ذلك الاكتشاف

— اني تمكنت بقوة العلم والاختراع من تحويل الميكروبات الغير مؤذية الى جراثيم قتالة مهلكة تبيد الالوف من البشر في اقل من وميض البرق او لمح البصر·

— بارك الله لك في هذا الاكتشاف المشؤوم فهل لم يخطر على بالك غير هذا الفكر الخبيث وهل اردت باكتشافك هذا ان تخالف جميع علماء عصرنا الذين يبذلون كل ما في وسعهم لمنع هذه الاخطار العظيمة والاضرار الجسيمة عن العالم ·

— العلم بحر واسع وكل انسان يمكنه ان يغوص فيه فينتقي ما يروق في عينيه من لآلئه وانا حر فيما افعله فلا لوم عليّ ولا جناح

— وهل جربت هذا الاكتشاف في بعض الحيوانات او البشر حتى

تأكدت لديك حقيقة تأثيره

— أما في الحيوانات فقد جربته كثيراً وأما في البشر فلم اجربه بعد ولن اجربه مطلقاً لان هذه جريمة عظمى وجناية لا تغتفر ·

— اني اشير عليك ياعزيزي بان تبتدي في تجربة هذا الاكتشاف في زوجتك السيدة بيكرمان لاني واثق بان جسمها لا تؤثر فيه قوة الميكروبات ولا تقوى على الفتك به ·

— دعنا ياعزيزي من هذا الحديث فانا لم احضر الى هذا المكان إلاَّ تخلصاً من سيرة هذه الزوجة الشقية وهيا بنا نطلب دوراً من البيرة لئلا يفوتنا الوقت ونضيع الزمن على غير جدوى

وعند ذلك ملئت الاقداح وابتداء الحاضرون يشربون على صحة هذه الميكروبات الجديدة ويهنئون صاحبها على هذا النجاح والتوفيق حتى اذا انتصف الليل شربوا القدح الاخير وتوجه كل منهم الى حال سبيله

اما صاحبنا الموسيو بيكرمان فقد اعتراه دوار شديد لانه شرب كثيراً على خلاف عادته فبادر مسرعاً الى داره وقلبه يخفق من شدة الخوف لئلا تكون زوجته قد انتبهت من نومها فلم تجده فلا تسمح له بالدخول الى الدار مرة ثانية كما اقسمت

ولكنه اطمأن لما وصل الى الدار فوجدها قد اطفأت انوار غرفتها واضطجعت على سريرها بكل هدو وسكينة فدخل هو ايضاً الى حجرته وانطرح على سريره بدون ان يخلع ثيابه وغرق في بحار التخيلات والاوهام حتى ملأ النوم اجفانه ولم يعد يعي على شي مما حوله

وفي الساعة السادسة من صباح اليوم التالي سمع المسيو بيكرمان صوتاً

يناديه وشعر بيد تهزه لينهض من فراشه ولكن سورة البيرة كانت لم تزل متسلطة على رأسه والنوم لذيذاً في عينيه فلم يعر هذا الصوت إلاَّ اذناً صماء وكان يتظاهر بأنه نائم لا يسمع شيئاً من هذا النداء على الاطلاق ·

٤

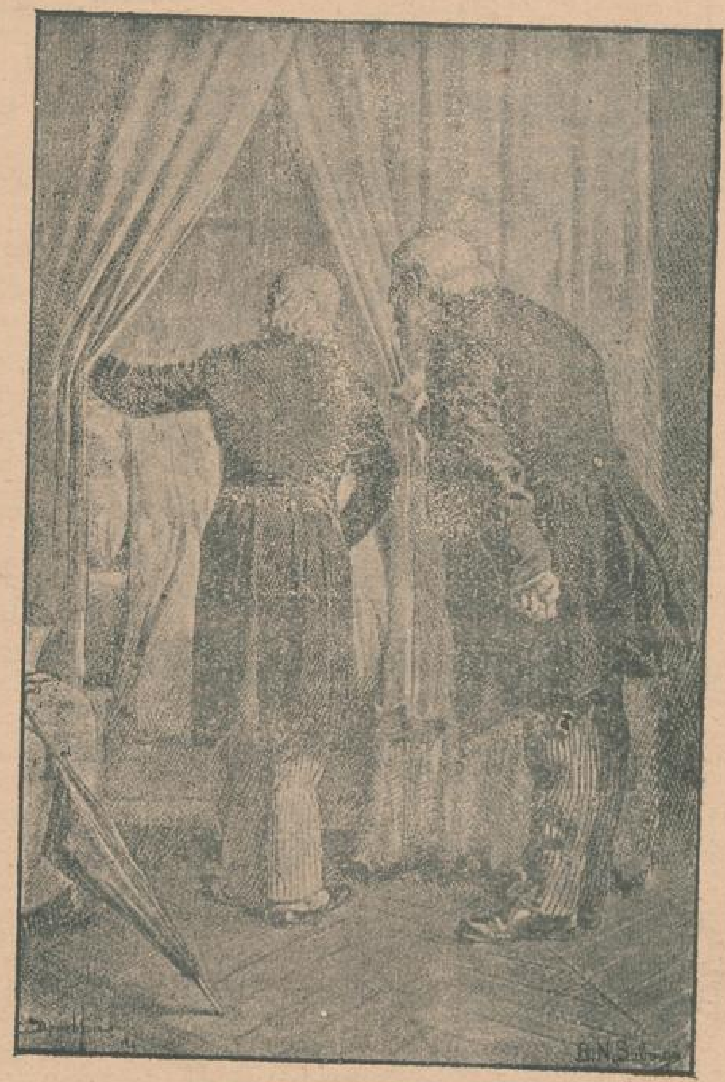
اما تلك اليد التي كانت تهز المسيو بيكرمان وتنبهه من نومه فهي يد زوجته التعيسة التي كانت تشعر بألم شديد ومغص زائد وقد ارتخت مفاصلها وتشنجت أعصابها وهي تستغيث بزوجها حتى يبادر الى تشخيص دائها واستحضار الطبيب لمعالجتها على ان عالمنا الطبيعي كان في واد آخر لا يعلم شيئاً من كل ما جرى ولكنه أخيراً لما أعيته الحيلة ووجد ان لا مناص له من النهوض جاس على سريره ونظر حوله فاذا زوجته واقفة امامه وقد اكمد لونها وعلا وجهها الاصفراز وظهرت عليها علامات الضعف والهزال فدهش المعلم بيكرمان من هذا المنظر المريع وتعجب كيف ان حالة زوجته وسحنتها تغيرتا هكذا فجأة في مدة ليلة واحدة فدق الجرس بلهفة شديدة وعندئذٍ حضر لديه الخادم فامره بان يسرع الى دار الطبيب ليدعوه حالاً وان يمر على احدى الصيدليات القريبة فيستحضر منها كمية معلومة من المورفين والكينين اما السيدة بيكرمان فقد كانت في كل دقيقة تزداد ضعفاً واضطراباً فانتشرت البرودة في جسمها وانكمش جلدها وتقطبت جبهتها ثم سقطت على الارض من شدة ألمها وأخذت تصرخ وتستغيث ·

فانزعج المسيو بيكرمان من هذه الحالة المريعة وبادر اليها مهرولاً وناداها باسمها مستطلعاً حقيقة امرها · وعلة مرضها أما هي فاجابته بصوت مملوء من الرقة واللطف (على خلاف عادتها معه)

— سامحني ياعزيزي عن كل ما صدر مني في حقك فاني أشعر الآن بدنو أجلي · فاجابها المسيو بيكرمان دعي عنك ياحبيبتي هذه الاوهام وانبئني ماذا جرى لك وما سبب هذا التشنج والاضطراب · قالت هل تعرف الغرفة الجهنمية فهي مصدر هذه البلايا والمصائب كلها فأواه من هذه الغرفة الجهنمية أواه ····

فعند ذكر هذا الاسم ارتعدت فرائص المسيو بيكرمان ولكنه تجلد على قدر استطاعته وقال لزوجته تكلمي قولي ماذا جرى لك في تلك الغرفة المشؤومة

اما هي فازداد ضعفها واضطربها اكثر فاكثر ولم تستطع ان تفوه ببنت شفة فوضعت رأسها بين يديها واستسلمت لعوامل اليأس والقنوط وبينما كان المسيو بيكرمان حائراً في أمره فتح الباب فدخل الطبيب مهرولاً ودنا من فراش السيدة بيكرمان وابتدأ يفحص المريضة بكل دقة وإمعان



الطبيب يفحص السيدة بيكرمان

ثم هزّ رأسه علامة اليأس وقطع الرجاء ·

فعندئذ انقضت صواعق الغضب والغيظ على هامة المعلم بيكرمان وسأل الطبيب بلهفة قائلاً — ما اسم هذا المرض الخبيث وما هي عوارضه اجاب الطبيب ان هذا المرض هو الوباء الخبيث الذي يكون منشأوه في الغالب بلاد (الداهومي) وانتشاره في اوربا نادر جداً ولا ادري كيف وصل الى دارك هذا الوباء القتال · وهذا المغص والتشنج والاضطراب كلها علامات واعراض

ظاهرة تدل على حقيقة وجود هذا الوباء المهلك وبينما كان الطبيب يوضح لهذا الزوج المسكين حالة المرض العضال الذي المَّ بزوجته افاقت السيدة بيكرمان من غشيتها فانقطع الحديث وتوقف الطبيب عن الكلام · ثم قفل راجعاً من حيث اتى ·

وفي أَقل من ساعة من الزمان ذاع هذا الخبر في كل المدينة وضواحيها لان الخادم الذي ذهب لاستحضار الدواء من الصيدلية قص الحادثة على بعض الموجودين فيها ومن ثم انتشر الخوف بين الاهالي لان مثل هذا الوباء (الداهومي) سريع العدوى وشديد الفتك ببني الانسان · ولكن خوف الناس جميعاً لم يكن شيئاً في جانب انزعاج الموسيو بيكرمان لانه هو الذي يحمل تبعة هذه المصيبة الكبرى والطامة العظمى التى لا بد وان تلحق بكثير من سكان مدينته وربما امتدت الى جميع اطراف المسكونة بسببه ايضاً فكان ضميره يوبخه ويوَّنبه على سوء تصرفه لانه فهم حالا ان زوجته لم تذكر اسم الغرفة الجهنمية عبثاً في شدة المها واضطرابها بل لا بد وان يكون لتلك الغرفة دخل عظيم في كل ما جرى وقد تاكدت وساوس الموسيو بيكرمان ومخاوفه عند ما دخل الى تلك الغرفة فوجد كل اوعيتها وزجاجاتها مبعثرة في جميع جوانبها والانابيب الملآنة بالميكروبات مفتوحة كلها وما فيها من الجراثيم القتالة تتصاعد في الهواء فتملأَه سماً وفساداً وحينئذ علم الموسيو بيكرمان يقيناً ان الغيرة النسائية لعبت بقلب زوجته فظنت انه يخفي في هذه الغرفة الجهنمية بعض الرسائل والمكاتيب الغرامية فارادت ان تقف على ما في الزوايا من الخبايا فحدث ما حدث من المصائب والاهوال · ولم يكن الموسيو بيكرمان يخشى من انتشار ميكروباته في داره على ضياع حياته لانه ابو هذه الميكروبات ومربيها وهو

وهو أقدر على اضعاف قوتها واهلاكها اذا تعمدت له الاساءة والاذى ولكنه كان شديد الخوف على جيرانه وسكان قريته بل على سكان العالم كله لانه أعرف الناس بقوة ميكروباته وسرعة انتشارها وشدة تأثيرها وقد أبتدأت ميكروباته فعلا فى اتمام عملها بقوة عجيبة فاول من أصيب بعوارضها خادمه المسكين الذي لم يلبث ان قضى نحبه وأعقبته السيدة بيكرمان ومات أيضاً الطبيب الذي عادها فانتقلت اليه العدوي منها ولم يات مساء ذلك اليوم المشؤوم حتى أحصي عدد الذين ماتوا فريسة هذ الوباء فبلغ نحو عشرة اشخاص وفي صباح اليوم التالي نشرت جرائد المانيا الخطيرة الخبر الآتى بحروفه

يسؤنا ان ننقل الي قرائنا الكرام خبرا محزنا ونبأ مزعجاً يملاء القلب أسفا وحزنا وهو أن وبا. خبيثاً انتشر فى البلاد الالمانية في هذه الاثناء وأخذ يفتك باهلها فتكا ذريعا وقد بلغ عدد الوفيات اليوم في عاصمة البلاد الالمانية نحو ٢٠ نفسا. ويقول الاطباء ان منشأ هذا الوباء في الشرق وهذه هي المرة الاولي التي وفد فيها الى هذه البلاد واول ظهوره كان فى مدينة (برينوليد) في دار احد المشتغلين بالعلوم الطبيعية وقد انبأنا مكاتبونا فى الجهات بان الاهالى فى انزعاج شديد بسبب انتشار هذا الخبر ولكن املنا وطيد بان أولياء الامر يتخذون الطرق الفعالة للخلاص من هذا الخطب المدلهم

٥

بعد ان ذاع خبر هذا الوباء (الداهومي) وملأ الاسماع في جميع اصقاع أوروبا وبقاعها اهتزت له هذه القارة باسرها وهاج سكانها وماجوا لان ميكروباته القتالة لم تبق منحصرة فى البلاد الالمانية وحدها بل انتقلت الى سواها من الممالك الاوربية والبلاد الغربية حتي تفاقم بلاؤها وذهبت النفوس الغالية والارواح الثمينة فريسة فتكها ولم تجد الاحتياطات الصحية والوسائل الطبية نفعا ولم تفد شيئاً امام قوة هذه الميكروبات المهلكة وقد أجمع رأي الاطباء عموما فى أوروبا على ان هذا الوباء انتقل الى البلاد الاوربية من الشرق لامحالة وحكموا بان يد الطب عاجزة عن قطع جرثومته واستئصال شأفته لان هذه هي المرة الاولي التي ظهر فيها هذا الداء الخبيث فى تلك الديار

ولا تسل عما اعترى الاهالي من الانزعاج والاضطراب بسبب هذا التصريح المخيف فابتدأ الناس يهاجرون بلادهم تخلصا من هذا البلاء العظيم والخطب الجسيم ولكن الى اين يذهبون وفى أى البلاد يلتجئون وقد مد الوباء اطنابه في كل مدينه من مدن أوروبا وقراها وكل دولة من الدول قامت تحجر على الغرباء وتمنعهم من الدخول فى بلادها والدنو من املاكها

وقصاري القول ان هذا الوباء لم يغادر دارا الا واقام فيها مناحة ولم

يترك بلداً الا واصبح غراب البين والخراب ينعق على جوانبها

كان يسمع المسيو بيكرمان كل هذه الحوادث ويطالعها فى الصحف والجرائد فترتعد فرائصه ويقشعر بدنه لانه كان هو وحده سبب هذا الخراب والدمار وكانت سريرته توبخه على ارتكاب هذه الجناية الفظيعة لانه وان لم يكن هو في الحقيقة مرتكبها وفاعلها الاصلى ولكنه مهد السبيل الي ارتكابها وفتح بيده البرئية بابها فهو اذن شريك لفاعلها في تحمل التبعة والمسؤولية

وقد مات الفاعل الاصلى (وهو زوجته) فاستحقت عقابها و نالت جزاءها اما هو فتطالبه الذمة والانسانية الآن بهذه الارواح الغالية والنفوس العزيزة التي ذهبت فريسة اشتغاله بعلم الميكروب واجراء تجاربه الطبيعية ونظرياته العلمية في دار لايؤمن فيها شر العثرات ولا يعلم ماتضمره له فيها الاقدار

فكلما تذكر هذه الامور وتمثلت امام عينيه تلك الحالة المزعجة ازداد قلقه واضطرابه وضاقت في وجهه سعة الفضاء وابتداء يناجي نفسه بما يجب عليه ان يفعله تلقاء هذا الموقف الحرج وهل يعترف امام العالم بجريمته الشنعاء فيريح بذلك ضميره ويخفف عنه آلام هذا التذكار المريع أو يكتم هذا الخبر الى ان يقضي الله أمراً كان مفعولا ولكن ماذا ينفع هذا الاعتراف والتصريح فهو لا يقدم ولا يؤخر ولا يمنع وقوع الضرر بعد

ان سبق السيف العذل وغاية ما في الامر ان الرجل يعرض نفسه بسبب هذا الاعتراف للاهانة والفضيحة فيسخط عليه العالم كله ويهيج عواطف الناس ضده ولا يجني من وراء ذلك غير استفحال الشر وتفاقم الخطب

٦

هذه كانت هواجس المسيو بيكرمان ومخاوفه التي كادت تقصر ما بقي من أيام حياته وتقضي عليه ولكنه في آخر الامر صمم على الاعتراف بكل ماجري لاحد زملائه من معلمي الطبيعة الذين كانوا واياه على طرفي نقيض في الرأي والفكر عسى ان يستمد منه شيئاً من النصح والارشاد أو يشير عليه بما ينقذه من هذه الورطة التي سقط فيها أو تكون النتيجة أن يشيع الخبر على لسان ذلك الصديق فينال جزاء ماجنت يداه وقد عزم المعلم بيكرمان فعلا على التوجه الي دار صديقه ولكنه عند ما فتح الباب وهم بالخروج اندهش اندهاشاً عظيماً اذ رأى امامه ذلك الصديق المعهود جاء يطلبه ويسأل عنه على غير انتظار منه

ولكن هذا الزائر الكريم لما وقع نظره على المسيو بيكرمان لم يكد يصدق انه هو بعينه لما كان ظاهراً على وجهه من آثار الضعف والهزال بعد وقوع هذه الحادثة المشؤومة التي غيرت سحنته واضاعت شيئاً من ملامحه فعند ذلك تقدم اليه وسأله بلطف قائلا هل من اشاهده هو

حضرة صديقي المسيو بيكرمان أو شخص آخر سواه

- هو انا ياعزيزي وقد فجعت بوفاة زوجتي امس فبت كما تراني في حال الغم والحزن

- نعم بلغني ان زوجتك المرحومة كانت اول من فتك به الوباء (الداهومي) المشؤوم

- اي وباء تعني بهذا الاسم فانالا اعتقد كما يعتقد زملاؤك الاطباء بان هذا وباء داهومي وفد الينا من الشرق واعجب كيف ان العالم كله يخطيء في معرفة مرض كهذا ولا يستطيع احد تشخيصه

اذن مارأيك انت ياعلامة الدهر ونابغة العصر في هذا الداء العضال

- ان هذا الداء في اعتقادي ليس هو الاباشلس الميكروب الجديد والمعروف باسم (صاعقة الموت) فهل فهمت ما اقول ؟

- وما عساني ان افهمه منك الان وانت تهذي بكلام لا أفقه له معنى فهل يوجد في غير مخيلتك ميكروب يسمى بهذا الاسم

- ان الذى أقوله لك صحيح ومعقول سواء فهمت أو لم تفهم فثق بان الوباء الداهومي المزعوم لا أثر له في الحقيقة وان هذا الداء كما انبأتك منشاؤه ميكروبات (صاعقة الموت) الجديدة . والا فهل تظن ان الوباء الداهومي الموهوم يستطيع ان يقتل رجلا قوي البنية جيد الصحة في خلال ثلاث ساعات فقط وهل يعقل بان قوة الكينين والحمام

البارد لا تكفي لقتل جراثيمه وميكروباته ووسائل الطب كلها تعجز عن معالجته فمن من العقلاء أو المجانين يصدق هذا الكلام فاسمع ما أقوله لك ولا تعارضني في كلامي فاني أعرف منك بحقيقة هذا الوباء فزوجتي لم تمت الا من ميكروب (صاعقة الموت) واذا نزلت الآن ملائكة السماء فقالت لك غير ما أقوله فلا تصدقها لان ليس الخبر كالعيان .

٧

فعندذلك تبسم صديق المعلم بيكرمان وأجابه برقته المعهودة

- قل ما شئت ياصديقي فأنت حر فيما تفتكر أو تقول ولكني انا أيضا حر في عدم تصديق هذه الاوهام والترهات

- وكيف تكون هذه الاقوال يا هذا من الترهات وقد خلقت أنا هذه الميكروبات بنفسي وربيتها في بيتي وأطعمتها بيدي حتي اذا تمت وتقوت قتلت زوجتي وطبيبها وخادمها وفتكت بخمسمائة نفس من الاحياء فهل بعد ذلك كله تقولون ان هذه أوهام وترهات فتبصر ياعزيزي فى ما تقول قبل أن تفوه ببنت شفة .

- اذن لماذا لا تبادر الي تدارك هذا الخطب ما دمت انت الذى خلقت هذه الميكروبات وربيتها ؟

ـ هذا ما أفكر فيه الآن وأرجوا ان تمدني بفكرك السامي ورأيك السديد فان الامر جلل والمصاب عظيم

قال ذلك ثم غرق في بحار الافكار والتخيلات وشردت أفكاره الى غير هذا الموضوع ولم يعد يلتفت الى صديقه أو يوجه اليه خطابا وبعد مضي هنيهة من الزمان نهض على قدميه وصرخ بصوت مسموع قائلا (قد وجدته قد وجدته) ثم ترك زميله في داره يضرب أخماسا لاسداس وبادر مسرعا الى خارج الدار وهو عاري الرأس حافي القدمين ولكنه لا يشعر ولا يدرى .

أما الزائر الكريم فلما رأى ما حدث حكم لدي أول وهلة بان المسيو بيكرمان أصيب بالجنون بعد وفاة زوجته فتأسف عليه ورثي لحالته لان العلم قد خسر بجنونه خسارة لا تعوض ثم قفل راجعا من حيث أتي

٨

وفي منتصف تلك الليلة كان الناس يشاهدون فى مدينة برنويلد رجلا عارى الرأس حافى القدمين يهرول فى الطريق مسرعاً وهو يناجي نفسه ويحرك يديه حركات غريبة كمن أصابته نوبة الجنون وهو لا يبالى بهطول الامطار وترا كم الثلوج التي كانت تعترضه في طريقه فهذا الرجل هو بطل روايتنا المعهود (المعلم بيكرمان) وقد كاد

ان يطير عقله من شدة الفرح والسرور لانه تمكن من اكتشاف طريقة جديدة لابادة هذه الميكروبات المنتشرة فى القارة الاوربية وايقافها عند حدها وتخليص العالم من شر أهوالها وغوائلها

أما هذه الطريقة فهى ان المسيو بيكرمان تذكر انه كان يربى ميكروباته (فى غرفته الجهنمية) بقوة الكهربائية السلبية فاذا عكس الموضوع وسلط عليها تياراً كهربائياً ايجابيا أهلكها وأماتها فى الحال

هذه هي الفكرة التى خطرت على بال المسيو بيكرمان فانتشلته من وهدة غمه وكدره وأمل أن يخدم بها الانسانية أجل خدمة وينقذ بواسطتها العالم من هذا الوباء ويحي له فى سجلات العلم أثراً حميدا وذكراً خالدا ولنترك الان المسيو بيكرمان يفكر فى هذا الاكتشاف العجيب ولنلقي نظرنا على حالة البلاد الاوربية بعد ان لبث بها هذا الوباء كل تلك المدة وما أحدثه فيها من الخراب والتدمير

أما حالة تلك البلاد في ذلك الوقت فلا يقدر القلم على وصفها ولا يستطيع اللسان التعبير عنها

وغاية ما يمكن ان يقوله الكاتب انه لم يبق في كل مدينة من مدن أوربا وقراها الكثيرة بيت واحد لا يخلو من المرضي وكل مريض كان فى حالة اليأس الشديد والقنوط التام ينتظر ساعة الموت بفروغ الصبر . والناس جميعا قد حبسوا أنفسهم فى منازلهم بارادتهم

واختيارهم فلا يستطيعون الخروج لانهم كانوا يظنون ان ملاك الموت واقف على الابواب ليقبض أرواحهم وينقلهم من عالم الفناء الي عالم البقاء ورجال الصحة لم يجدوا لديهم من وسائل الوقاية والعلاج غير رش الازقة والطرق بحمض الفنيك، واصدار الاوامر المشددة بتطهير المنازل والبيوت

وفي يوم ٢٣ ديسمبر بلغ عدد الوفيات في المانيا والروسيا وفرانسا ألوفاً عديدة فى اليوم الواحد وكاد الناس يعتقدون ان يوم الدينونة قد دنا وانه لا بد من خراب العالم كله في مدة قصيرة من الزمان بسبب هذا الوباء الفتاك

اما المسيو بيكرمان فكانت قدزالت مخاوفه وقتئذ كما علمنا وتأكد ان عمار الكون وأرواح العباد اصبحت في قبضة يديه وعلم ان رجوع الهدو والسلام الى العالم متوقف على كلمة واحدة تخرج من بين شفتيه فبات طول ليلته يفكر في اتمام هذا العمل العظيم ولم تذق اجفانه في تلك الليلة لذة الكرى

وفى صباح اليوم التالي رأي الناس اعلاناً كبيراً منتشراً فى جميع أزقة مدينة (برينوبلد) وضواحيها وقد كتبت فيه بحروف كبيرة هذه الجملة الآتيه

(المعلم بيكرمان يعالج المصابين بالوباء الداهومي بواسطة الكهربائية

فى الحال فمن رام المعالجة على هذه الصورة فليشرفه كل يوم من الساعة الثامنة صباحاً الي السادسة مساء

اما استعمال كلمة (الوباء الداهومى) في الاعلان الذى نشره المعلم بيكرمان فلم يكن يقصد بها غير مجاراة الاهالي على أفكارهم فى تسمية هذا الوباء ولو انه يعتقد بعدم صحة هذه التسمية .

وما انتشر خبر هذه المعالجة الغريبة في البلاد الالمانية حتى أهتزت لها جوانبها وهرع اليه الناس أفواجاً يسألون منه العلاج ويطلبون الشفاء ولو كلفهم ذلك فوق ما يطيقون . وأول من تقدم للمعالجة صديقه الحميم المسيو(سيزار) الذي كان يوسعه لوماً وتنديداً على اشتغاله بتلك الاكتشافات العقيمة (على زعمه)



﴿ المعلم بيكرمان يعالج المرضي ﴾

اما كيفية تركيب هذه الآلة الكهربائية فهي عبارة عن قرص معدني مسطح ذو مساحة كبيرة يسع أكثر من ثمانية أشخاص يقفون فوقه وفي هذا القرص يمتد تيار كهربائي باسلاك متصلة بالعمود الكهربائي

أما الكهربائية السلبية التي تزيد قوة الميكروبات وتنعشها فكانت تندفع قوتها الى الارض وتمر فيها رأسا ولكن القوة الايجابية الممدة لاهلاك الميكروبات كانت متسلطة على ذلك القرص الكهربائي فكل من جلس عليه أو قبض على العمودين الممتدين منه لا تبقي لهذه الميكروبات سلطة على جسمه أو تأثير في صحته على الاطلاق . قلنا ان اول من عالجه المسيو بيكرمان بهذه الطريقة الغريبة المسيو سيزار الذى قاسي من الالام فوق ما كان يتصور ولكن بعد بضع دقائق تغيرت هيئته وظهرت عليه علامات الشفاء باجلي وضوح فزال من وجهه اصفرار الموت وعاد اليه الانتعاش وجري دم الحياة فى عروقه وبالجملة بعث من عالم الفناء حيا حتي كاد لا يصدق انه فى اليقظة وظن ان ما جري له كان فى المنام

ومن ثم ذاع خبر هذه المعجزة في جميع المدن والقرى المجاورة ثم نقلها البرق الى جميع اصقاع أوربا وارجائها وشرع الناس في تقليد المسيو بيكرمان فى استعمال هذه المعالجة الكهربايية وابتداء عدد الوفيات يتناقص شيئاً فشيئاً حتي وصل متوسطها في كل مدينة من ٤٣٠ شخصا فى اليوم الي ثمانية أشخاص فقط . وقد حدث هذا الانقلاب العظيم كله فى خلال ٢٤ ساعة

ولا تسل عما صادفه بعد ذلك المعلم بيكرمان فى وطنه من

الاجلال والاكرام فقد اشتهر امره بين مواطنيه فتوافدوا اليه يهنؤنه على هذا الاكتشاف العجيب وقدمت له رسائل التهنئة من جميع ملوك أوروبا العظام وقلد أعظم الوسامات والنياشين اجلالا له وتعظيما لقدره واعترافاً بفضله وجمعت له الاكتتابات والمكافآت العالية من جميع اطراف العالم وأقيمت له التماثيل فى جملة جهات مختلفة. فكان المسيو بيكرمان كلما تصور ماوصل اليه من المجد والشرف وتبصر في الوسائل والصدف التي مهدت له سبيل الوصول الى هذه الدرجة السامية والشأن الرفيع حمد الله على هذه المنة العظمي وشكره على فضله واحسانه شكراً جزيلا وكان يتمنى لو ان زوجته تبعث حية وتعود اليه ثانية لتشاركه فى هذه الابهة والعظمة فلا تعود تهزأ به وتلومه على الاشتغال باعمال كانت هي مصدر سعادته ومجده ولكن

ما كل ما يتمني المرء يدركه * تجرى الرياح بما لاتشتهي السفن

(تمت)

النظم والانشاء

اتتنا القصيدة البديعة الاتية من حضرة الاديب رمزى افندى تادرس سكرتير المدرسة الكليه البطريركية الكبري بمصر تقريظا لمجلتنا المفتاح فاحببنا نشرها حرصا على فائدتها قال حفظه الله :

حسبي غرامي وآلامي وتشويقي * قرب بحقك من ايام تفريقي
ها حالتى يارعاك الله ناطقة * عنى فسلها اذا انكرت تصديقى
افرطت فى الحب تدقيقي فكل ضني * تري فاثار تهويني وتدقيق
فى ادمعى غرقى من مهجتى حرقي * واحيرتي بين تغريق وتحريق
انا الملوم وعيناي التى انثمت * تاجنت لى من كذب وتلفيق
وسعت للحب من صدري فاوسعني * على التوسع فيه أي تضييق
وما لدي وان اضنى الهوى جسدي * مثال قدح وشاتى فى مواثيق
ولست يوما بهياب لذي ادب * ولا بمعترف بالفضل للسوقي
يرى سواي لاهل العلم منزلة * تحكي المجاز وعندى كل تحقيق
ما الناس الابنى الاداب والعلما * وما عداهم فلا يدعى بمخلوق
وليس كل اديب فاضلا ابدا * وانما الفضل نهداه بتوفيق
الكاتب الذائع الصيت الغنى بما * ابداه من علمه عن كل تمنيق
له من الفضل ايات لها عبقت * فوح رضى شهي اى تعبيق

حاشاه ان ينكر العادي مناقبه * اوان يباهيه الا كل زنديق
بالامس تحكي الورى عن علمه قصصا * واليوم يروي له مفتاح تشريق
مجلة مثلت للراغبين بها * علما يجل وآدابا بتطبيق
مباحث لو تلا الماضون اسطرها * لاسمعوك ابتهالا كل تصفيق
رياضها ازهرت زهرا يؤرخها * الى النهى بعد أثمار بتوريق
يا طارقا باب علم عز آجله * لابد للباب من مفتاح توفيق

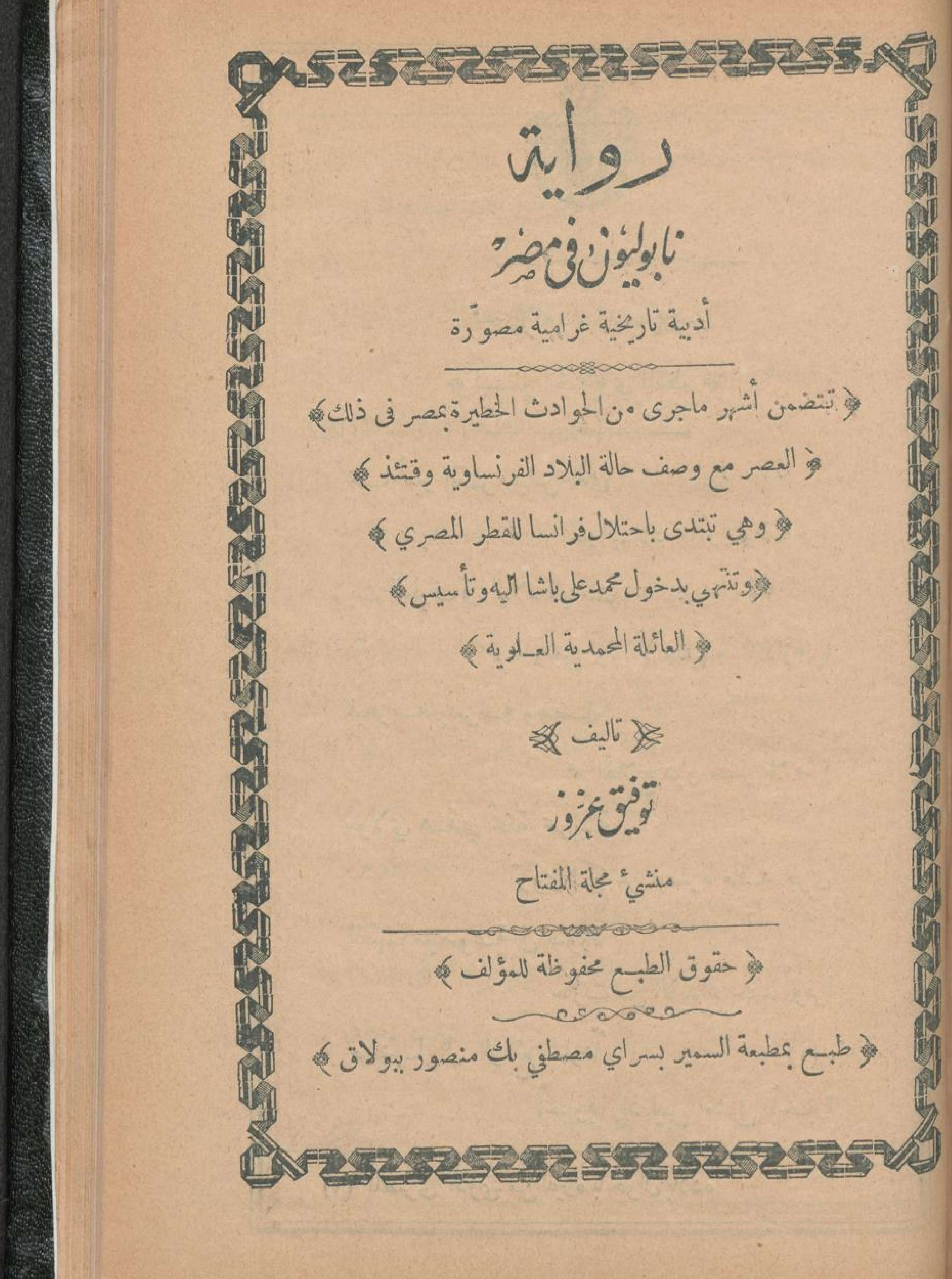
٣٢٢ ٥ ١٤٠ ٧٧ ٣٩ ٣٧ ٦٥ ٩٠ ٥٢٩ ٥٩٦

١٩٠٠

وقال حضرة الشاعر المطبوع والكاتب البليغ احمد افندي محرم مقرظا الرواية

نام الخلي وبت الليل اذكر * ولا سمير سوى وجدي ولا سمر
لا اشتكي في الهوى حزني ولا سهري * فآية العاشقين الحزن والسهر
لا بات دمعي الا وهو منهمر * ولا فؤادي الا وهو مستعر
ولا عداني نحول شفني وضنى * ادق جسمي حتى كاد يستتر
ولا بوحت وعذالا اعالجهم * واحوا بلومي في عفراء وابتكروا
وكاشحين اسرت لى قلوبهم * حقدا يكشف عن اسراره النظر
ياليت شعري عمن لست ناسيهم * أهل نسوني لطول العهد أم ذكروا
حسب الوفاء وحسبي انني رجل * اوفي بعهدي لاقوام وان غدروا
سجية لست أشكوها وان شقيت * نفسي بها فى زمان ماله خطر
ازرى بنا فيه أنا معشر نجب * لاعيب فينا وأنا سادة غرر

فما تزال عواديه تصيح بنا * وما نزال نلاقيها فننتصر
لوكان يعقل هذا الدهر سالمنا * وجاءنا تائبا يبكي ويعتذر
آنا لقوم اذا اكرومة عرضت * قمنا خفافا نباديها ونبتدر
سمت لنا سورة فى المجد فارعة * فى باع حاسدها عن شأوها قصر
هيهات نؤثر غير الحمد مدخرا * والحمد أحسن شيء أنت مدخر
فقضلنا شائع فى الناس مشتهر * وذكرنا ذائع فى الارض منتشر
هاتيك آثارنا غراء واضحة * تثني علينا ثناء عرفه عطر
تفنى وتبقى على الحدثان سالمة * يزيد جدتها الاحقاب والعصر
(توفيق) حسبك ماخلدت من أثر * يفديك كل جهول ماله أثر
ابديتها (غيرة) غراء يشكرها * أولو النهي وهي فيهم خير ماشكروا
(روايه) عنك ماتنفك نذكرها * بالحمد متصلا يتلى ويستطر
اودعتها دررا من فيك غالية * تبدو فترخص فى اسلاكها الدرر
امست بهاوبك الآداب حالية * تتيه ما بيننا عجبا وتفتخر
ياليت شعري وقد كملت زينتها * ماذا الذي منك بعد اليوم ننتظر
لاء فثم لآل سوف تبذلها * من دونهن اللآلي حين تختبر
كل امرئ رهن اوطار يحاولها * وأنت مالك فى غير العلى وطر
لك اليراع اذا مارحت تصلته * عنا له ولك الصمصامة الذكر
فيه الحياة وفيه الموت قد جمعا * فى شفرتيه ومنه النفع والضرر
رعت الخطوب به دهرا فقد جعلت * ترنو اليه ومنها الخوف والحذر
(توفيق) لاقيت توفيقا ولا برحت * تزهو بآدابك الدنيا وتزدهر



رواية

نابوليون فى مصر

أدبية تاريخية غرامية مصورة

﴿ تتضمن أشهر ماجرى من الحوادث الخطيرة بمصر فى ذلك ﴾

﴿ العصر مع وصف حالة البلاد الفرنساوية وقتئذ ﴾

﴿ وهي تبتدى باحتلال فرانسا للقطر المصري ﴾

﴿ وتنتهي بدخول محمد على باشا اليه وتأسيس ﴾

﴿ العائلة المحمدية العلوية ﴾

﴿ تاليف ﴾

توفيق عزوز

منشيء مجلة المفتاح

﴿ طبع بمطبعة السمير بسراي مصطفي بك منصور ببولاق ﴾



اهداء الرواية

لسمو الخديوي المعظم

يحيا أمير القطر عباس الذي

عم البلاد مآثرا ومفاخرا

بث المعارف فى البلاد فاينعت

وجنى أولو الآداب منها الازهرا

فبحزمه وبعزمه وبفضله

عم الفلاح ديار مصر بلا مرا

مولاي هذي تحفة عربية

تروى لكم عن مصرنا ماقد جرى

القيتها موضوعة في صورة

حازت من الابداع حظاً أوفرا

ضمنتها كل الوقائع سارداً (١)

أخبارها اذ ليس مثلى أخبرا

(١) المصرى أدرى من غيره بأحوال بلاده

رصعتها دراً نضيداً اذ حوت

ما كان من تلك الوقايع أشهرا

لا سيما في عصر (نابليون) من

جاء البلاد بجيشه مستكبرا

لكنه لم يبق فيها مدة

حتي أتاها جدكم ليث الشرى

ذاك الذي بسياسة وبحكمة

أحيا البلاد وشاد ماقد دمرا

ذاك الهمام الباسل الشهم الذي

جلت محاسن فعله بين الورى

هذا ملخص قصتي ياسيدي

أهديكها لتنال فخراً أكبرا

لازلت يارب العلى فينا على

مر الزمان معظماً وموقرا

ماقال (توفيق) يردد داعياً

يحيا الخديوي راقياً أعلى الذرى

توفيق عزوز



مقدمة

عنيت بوضع هذه الرواية فى قالب تشخيصى منذ عام ١٨٩٣ وقد اطلعت عليها الكثيرين من أفاضل الكتاب ورجال المراسح فراقت لديهم وصادفت منهم قبولاً واقبالا شجعنى على موالاة تنقيحها وترتيبها ثم عاقتنى بعد ذلك وفرة الاشغال وتراكم المهام عن تقديمها لاصحاب المراسح والاجواق العربية أو ابرازها الى عالم المطبوعات وما زالت أصولها باقية في مكتبتي حتى أنشأت مجلة المفتاح في هذا العام فرأيت ان أحولها الى قصة أدبية غرامية (مع بقاء صورتها التشخصية الاصلية) وأتحف بها قراء المجلة الكرام قبل نشر الروايات والقصص المعربة ولا شك انهم يجدون فى مطالعتها كل اللذة والفكاهة لانه فضلاً عما أعهده فيهم من سلامة الذوق وحسن التميز فان موضوع الروايه فى حد ذاته لايخلو من الخطارة والاهمية لما يتخلله من الحوادث التاريخية الشهيرة والنصائح الادبية المفيدة .

ولما كان الغرض الاصلي من وضع مثل هذه الروايات تهذيب الاخلاق وتربية النفوس فقد جعلت موضوعها الغرامي (الاضافي) يتضمن الحث على الاقلاع عن عادة شرقية ذميمة تفشت بيننا منذ عهد

بعيد فكانت سببا في خراب البيوت العامرة وسقوط العائلات الكبيرة وجلب البلايا والرزايا ألا وهي (الزواج القسري) فاظهرت مايترتب على اجبار الفتيان والفتيات فى انتخاب الازواج والزوجات جرياً وراء الاغراض والاهواء الوالديه واتخاذ الزواج ذريعة الى المضاربه والمتاجرة وقضاء المصالح المالية وما يتخلل ذلك من ضروب الدناءة والسفالة وجلب المصائب والنوائب على المتزوجين والوالدين فى المستقبل حتي ينتبه الوالدون والشبان الى نتيجة هذا التهور والاندفاع فلا يلقون بايديهم الى التهلكة وهم لايشعرون ولا يدرون وقد أضفت الي هذه الرواية عدة صور تمثل أشهر أبطالها ومشخصي وقائعها وهي أثرية تاريخية يجمل أن تجمع بالترتيب فى كتاب واحد هذا فضلا عن تحليتها وتزيينها بكثير من القصائد والابيات الجميلة التى اقتضاها المقام وجادت بها القريحة الخاملة فاؤمل أن يغض القراء الطرف بعد ذلك عما يرونه في الروايه من وجوه النقص والتقصير فان عذري الوحيد الذي يشفع لي أمامهم انى لم أسرق موضوعها من كتاب ولم أعرّب فصلاً واحداً من فصولها أو أنقله عن أصل أعجمي كما يفعل سواى من واضعى الروايات التاريخية بل كانت كلها نتيجة بحث واجهاد فكر والله العليم بذات الصدور

توفيق عزوز



١

لي همة مشهورة وحسام

تعنو له الاعداء والاخصام

اني أرى الدنيا يجول خيالها

طي الحشا فيشب فيه ضرام

والكل يخشى سطوتى ومهابتي

والدهر لي بين الانام غلام

واذا تقلدت الحسام يهابنى

ملك الوحوش الباسل الضرغام

والخلق تهتز لذكر شجاعتى

وجميع أهل الغرب لى خدّام

لكنّ لى في الشرق اعظم غاية

أضحي لها بين الضلوع غرام

فى الشرق أقطار يعز نظيرها

هي للهمام على الدوام مرام

لابد لي من فتحها ودخولها

هذا مرام لاسواه مرام

ثم بادر بفتحه واذا به يرى الاسطر القليلة الآتية من قبل المشيخة الفرنساويه" وهذا نصها:

الى القائد نابليون رئيس الجنود الفرنساويه المظفره"

اتاحت لكم مشيخة فرانسا التوجه الي القطر المصري الاستيلاء عليه وتقويض دعائم سلطة المماليك المستبدين به فتوجه اليه مصحوباً ببركة الله وحسن توفيقه ولا تعد منه الاظافرا منصورا ان شاء الله تعالى

الامضا ـ اعضاء المشيخة

ميرلين • باراس لادنير . ليبو • ديويل . بارتيلي

وطى هذا الكتاب أوراقاً خصوصية تتضمن بعض التعليمات السريه" المتعلقة بهذه التجريدة العسكرية .

لما قرأ بونابرت هذا الكتاب أبرقت أسرته وانشرح صدره ولاحت عليه سمات الفرح ومخائل الارتياح لان هذه هي الامنية التى طمحت أفكاره اليها وكان يعلل النفس بالحصول عليها وقد ظفر بها عفوا بلا عناء ولا تعب فتمهدت أمامه سبل النجاح وتحقيق الآمال ومن ثم أخذ نابليون يفكر فى تجهيز معدات السفر والتأهب لتحقيق هذه البغية وأول من تبادر الى ذهنه وخطر على باله من الابطال والقواد الذين يثق بهم لمعاونته في هذه المهمة زميله القائد كليبر الذى كان قرنه فى البسالة ويده اليمنى في كل مشروع هائل وعمل عظيم فعزم بونابرت على استدعائه ليطلعه على هذا النبأ السار ويوعز اليه بالاستعداد للرحيل ويستشيره فى أمر هذه الحرب المنتظرة فنادي أحد أتباعه في الحال وأمره أن يبادر الي زميله القائد

كليبر ليدعوه اليه فلبي الجندى أمر سيده وخرج يجد في طلب القائد ومن ثم عاد نابليون الى تأملاته وأحلامه فاسند رأسه الى كرسيه واستسلم لعوامل التخيلات والاحلام فكان تارة ينتقل بفكره وتصوره الي أرض الفراعنه حيث تمثل أمام عينيه آثارها الضخمة وأهرامها العظيمة وهيا كلها الهائلة ويعلل نفسه بامتلاك هذه البقعة الجميلة التى لم يخلق الله أحسن منها تربة وهواء وأكثر خيراً ورخاء وطورا يخيل له انه قد فاز بامنيته واصبحت البلاد المصرية طوع بنانه وقد عاد منها الى فرانسا ظافرا منصورا حيث نودي باسمه امبراطورا عليها وقد ارتفعت أصوات الشعب الفرنساوي هاتفة فى كل مكان (يعيش الملك يحيا الملك) ولا غرو في ذلك فان من كانت له نفس نابليون الكبيرة وهمته العالية يري هذه الامانى بعين بصيرته أقرب اليه من حبل الوريد . ولا يفل الحديد الاّ الحديد . ثم أخذ قائدنا العظيم يناجي نفسه وهو يقول :

لاشك ان وثوقي بغيرة صديق كليبر واخلاصه تجعلنى دائما اعول عليه وأركن فى أهم المهام اليه فقد جربته كثيراً واختبرته مرارا فالفيته بطلا باسلا وشهما هماما مقداما جمع بين فضيلتى الشجاعة والانفة وعرف بالبساله وعلو الهمة ولا يحب الشجاع الا الشجاع . لذلك عزمت على استدعائه لاطلاعه على هذا الخبر السار فيكون لي في هذه الحرب أعظم عضد وأكبر نصير فان مثله جدير بهذه الثقة وهو أحسن أفراد جيشنا دربة واقداما

٢

نترك الآن القائد بونابرت غائصا في بحار أفكاره وتأملاته أو أحلامه وتخيلاته ونستميح القارئ الكريم أن يأتي معنا الى حيث يوجد القائد كليبر صديق بونابرت وقرنه الهمام لنعرفه به كما عرفناه بزميله ولو أن شهرته تغنيه عن هذا التعريف فان له في حوادث روايتنا الدور الاكبر والشأن العظيم .

ولد القائد كليبر سنة ١٧٥٣ وقد تربي منذ نعومة اظفاره تربية حسنة وكانت تلوح عليه مخائل الذكاء وعلو الهمة مع حداثة سنه وكأن الطبيعة أبت الا ان يكون جنديا شجاعا فوهبته كلما يرفع شأن الجندى ويعلى منزلته من بسالة فائقة وشهامة عالية ونفس كبيرة وقلب لا يرهب الردى وجأش قوي وجنان ثابت وفؤاد مفعم باشرف العواطف والاميال . هذه كانت صفات القائد كليبر الادبية ومزاياه العسكرية فلا غرابة اذا كان ارتقاؤه سريعا وتقدمه عظيما فان من توفرت فيه كل هذه الصفات خليق بان يناطح عنان السماء ويطاء بقدمه هامة الجوزاء وأما صفاته الشخصية فهي انه كان طويل القامة ممتلئ الجسم جميل المحيا جذاب الملامح كثير الدعة واللطف فهو لذلك كان موضوع الاعجاب والانعطاف العام ولم يكن بين مواطنيه ومعاصريه الا من يميل اليه ويثنى عليه ويتحدث بذكر أعماله وآدابه السامية حتي انطبق عليه قول القائل

كأنك من كل النفوس مركب * فانت الي كل الانام حبيب

على أن الكمال لله وحده ولكل شيء اذا ما تم نقصان فان من نال كل

هذا المجد وقبض بيده على زمام العلياء والسؤدد وكان الناس يظنونه سعيدا مغبوطا لم يكن يعرف للسعادة معنى ولم يذق لها طعما وماذا عساه يتبادر الي ذهن القارئ الكريم غير ان هذا البطل الباسل وقع صريعا تحت سيطرة ذلك السلطان الجائر والملك القاهر الذي أذل أعظم الجبابرة وأقوى الابطال ودانت له رقاب الشجعان وصناديد الرجال اولئك الذين لم تكن نيران المدافع وأهوال المعارك والحروب لتهزهم أو تؤثر عليهم ولكنهم لم يستطيعوا الوقوف لحظة أمام سهام اللواحظ والعيون ولله فى خلقه شوؤن لذلك قال سلطان العاشقين ابن الفارض يحذر العشاق من سؤ العاقبة وينذرهم بشر المنقلب ويعرف الحب أحسن تعريف :

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوي سهل * فما اختاره مضنى به وله عقل

وعش سالما فالحب آفته عنا * فأوله سقم وآخره قتل

أجل فقد كان كليبر عاشقا متيما ومحبا ولهانا ولكنه حب رجل لايخون ولايمين وعاشق يعرف كيف يصادم متاعب الحب وأهوال الغرام بقلب مفعم بالاخلاص والولاء كما يلاقي الاعداء فى ساحة الوغى وميدان الهيجاء . وكما قدر للقائد كليبر ان يكون عاشقا ولهانا كذلك ابى القدر الا ان يكون طريقه فى الحب محفوفا بالمكاره والمصاعب حتي يصح ان يقال ان غرام العظيم عظيم كان كليبر عاشقا مغرما وكأني بالقارئ يريد ان يعرف الآن كيف كان ذلك ومن هي معشوقته ولكننا نستميحه ان يمهلنا قليلا ريثما يواجه القائد زميله بونابرت الذي أرسل يستدعيه اليه فان لكل مقام مقال ولكل آت قريب على كل حال .

كان القائد كليبر فى الوقت الذي بعث بونابرت يطلبه فيه جالسا في غرفته للاستراحة بعد تناول الطعام وكان ذلك فى الساعة الثالثة بعد الظهر وهو يدخن سيجارة فى يده ملأ دخانها سماء الغرفة حتى لم يعد يميز الناظر اليها ما فيها من الرياش الثمينة والأثاث الفاخر وقد أسند رأسه الى مائدة بجانبه وهو غارق في بحار الهواجس والاحلام لا يكاد يعي على شيء مما حوله ثم نهض من مكانه فجأة وأخذ يجول في الغرفة ذهابا وايابا وهو فى اضطراب ظاهر وانفعال عظيم كمن يطرد عنه فكرا مزعجا أو يتوقع حلول مصاب مدلهم وبينما هو كذلك قرع باب الغرفة فانتبه من ذهوله وفتح الباب واذا بخادمه جاء يستأذنه في ادخال أحد العساكر من السعاة عليه فصرح له القائد بذلك وعندئذ دنا منه رسول بونابرت وحياه التحية العسكرية وأبلغه فحوى الرسالة ولم تمض ساعة من الزمان حتى كان كليبر في دار رئيس الجنود الاكبر

أما بونابرت فلما وقع نظره عليه بادره بالتحية فقال

أهلا بك أيها الصديق العزيز

أجاب كليبر عفوا يامولاى فما انا الا مرؤسك الخاضع وخادمك الامين فمرني بما تشاء تجدني لك أطوع اليك من ظلك

قال اني أشكرك على شريف احساساتك وحسن اهتمامك بتنفيذ رغائبي ولا غرو فانت هو ذلك الصديق الذي طالما اقتحم معى معامع القتال وخاض عباب المصاعب والاهوال فاظهر من ضروب البسالة وأساليب الاقدام ماحير الافكار وبهر الابصار وأنت هو ذلك الصديق

الذى شاركنى فى سرائي وضرائى وشاطرنى في هنائى وعنائى وقد رأيت فيه من المرؤة والاخلاص والوفاء ما تقصر دونه الشكر والثناء .

قال انى لا أستحق يامولاي كل هذا المديح والاطراء لانك غمرتنا أنا وباقي زملائى روساء الجيش بحسن عنايتك وكمال رعايتك واغدقت علينا جزيل حسناتك ووافر أنعاماتك فكيف لانتهالك بعد ذلك فى خدمتك ونتهافت على اجابة دعوتك وقد أعليت شأن الجندية فى بلادنا وجعلت منزلتنا فوق منزلة الناس أجمعين فانت ياسيدى لا تستحق مناغير الطاعة والاكرام لان الخير بالخير والبادي أكرم وسعيد هو الجيش الذى يكون له قائد مثلك يغار على شرفه ويسعى في خيره واعلاء كلمته فالتمس منك يامولاي ان تأمرني بما تريد تجدني أقرب اليك من حبل الوريد

قال اعلم ياعزيزي كليبر انه قد صدر الي أمر مشيختنا بالتوجه الى الديار المصريه لاجل افتتاحها ولذا دعوتك الي لانبئك بهذا الخبر لتكون لى فى هذه المهمة خير عضد ونصير وانى أريد ان أعقد الآن جمعية من كبار ضباط الجيش للمداولة بهذا الصدد ووضع خطة المسير واعطاء التنبيهات اللازمة للتأهب والاستعداد .

قال أشكرك يامولاى على وضع ثقتك فىّ واعتمادك علىّ وسترى منى ما يحقق رجاءك ويرضيك وها اني متوجه لانفاذ أمرك بلغك الله آمالك وأمانيك قال كليبر ذلك ثم خرج يقصد الطريق الموصل الى مركز الحربية لابلاغ الضباط هذه الاوامر العسكرية وترك بونابرت يهيم في وادي أحلامه ومطامعه وهو يناجي نفسه قائلا

ما أقوى صديقي كليبر وما أشجعه فاني أرى نار الغيرة تتأجج بين ضلوعه ونور الشهامة يلوح في عينيه فلا عجب اذا رأيت قلبي لا يميل الا اليه ولا ينعطف الا عليه فاني أرى في كل حركاته وسكناته ما يوافق مشربي ويطابق ميلي ومبدائي وقلبي يحدثني انه سيكون له في حوادث مصر المقبلة شأن كبير فلا يذكر اسمي في تاريخ الفتوحات بعد الآن الا مقرونا باسمه ولا يصبو الى العظيم الا العظيم ......

٣

لم تمض لحظة من الزمن بعد هذه المقابلة حتى وفد ضباط الجيش الفرنساوى الي دار قائدهم الاعظم زرافات ووحدانا فغصت بهم قاعة الاستقبال وكانوا كلهم يتساءلون ويناجون أنفسهم عن سبب هذا الاجتماع الفجائي وهم لا يهتدون الى حل ذلك المعمى ورفع اللثام عن محياه فبعضهم يتوهم ان بونابرت ربما كان يقصد بذلك طلب اسقاط المشيخة وارجاع الملكية ويريد ان يتخذهم أعوانا له على تنفيذ هذه البغية وبعضهم يظن ان خطراً عظيما يتهدد البلاد وقد دعاهم لدفعه عنها واتخاذ الاحتياطات القوية لمنع هذه الطوارئ الخارجية . وبينما هم في هرج ومرج يضربون أخماساً في اسداس ويهيمون في وادى الاوهام والوساوس لاحت منهم التفاتة فرأوا باب القاعة الكبرى قد فتح وخرج القائد بونابرت يتبعه زميله كليبر فنهضوا جميعاً لاستقبالهما وحيوهما أحسن تحية ثم أذن الرئيس لهم بالجلوس فجلسوا بكل هدو وسكينة ولازموا الصمت والسكوت وصاروا جميعا عيون شاخصة الى القائد الاكبر وكأن على رؤوسهم الطير ينتظرون معرفة هذا السر العظيم بفروغ صبر حينئذ

التفت اليهم بونابرت فاطلعهم على حقيقة الامر وأبرز لهم كتاب المشيخة الفرنساوية فحنوا جميعا رؤوسهم علامة الطاعة والاذعان ثم نهض نابليون على قدميه وخطب فيهم يستنهض هممهم ويستفز غيرتهم كما هي عادته فقال :

ان عيون أوربا بأسرها شاخصة اليكم ومن فروضكم الواجبة القيام باعمال مهمة وأفعال عظيمة وفتح حروب مهلكة ومعارك هائلة يروج فيها سوق الموت وقد علمتم اننا عقدنا النية على افتتاح البلاد المصرية وانقاذها من سلطة المماليك الاستبدادية وهذا كما لا يخفاكم عمل جلل ومشروع هائل كيف لا وأنتم تعلمون اننا سنكون هدفا لنبال الاضرار وعرضة لسهام الاخطار ولكن أعمالنا هذه ستعود على بلادنا بالنفع العظيم والخير العميم وتكلل هامنا باكاليل المجد والفخار فهل فيكم من يخشى الردى ويرهب المنون أو تعيقه العوائق عن خدمة البلاد ورفع شأن الاوطان كلا فقد عهدتكم أسود الوغى وأنصار الهيجاء الذين يبذلون النفس والنفيس في سبيل الخدمة الوطنية غير آسفين وكيف لا يكون هذا شأن ابطال فرنسا الباسلين وقد ذاع صيتهم وشاع وملأ الاسماع في جميع الاصقاع والبقاع . ولا ريب عندي اننا سنكون فى هذه الحرب من الظافرين اذ ليست هذه أول مرة حاربتم فيها تحت قيادتي فحالفكم النصر ولازمكم السعد والظفر بل كم فتحتم من بلاد وكم أخضعتم من أمم وأرهبتم من ممالك فاذا كنتم أنتم الذين دانت لكم أعظم ممالك أوربا صاغرة وخشت بأسكم أغلب أمم الغرب فكيف لا يكون نصركم مؤكداً لا ريب فيه وأنتم انما تسيرون لمحاربة قوم لا نظام لهم ولا آلات حربية لديهم فهم سيكونون

أمامكم بلا شك أشباح بلا أرواح .

أيها الأبطال لقد ذقتم حلاوة النصر ولذة الظفر وعرفتم نتيجة التجلد والصبر وما وراءه من المجد والفخر ولكن اعلموا ان لكم اخوانا يرومون مشاطرتكم فى هذه الاعمال الجليلة . وهم اخوانكم عساكر البحر الذين لم يظهر بعد فخرهم مع فخركم وها قد حان وقت ظهورهم مثلكم فهم يريدون ان يشتهروا بالشجاعة والبسالة كما اشتهرتم أنتم ومعكم ان شاء الله سيصلون الى مطلوبهم ويتحصلون على مرغوبهم فعلموهم ذلك الصبر الذي صبرتموه فى الحروب والوقائع الماضية التى هي أصل مجدكم وأحسنوا معاملتهم وكونوا لهم أخوانا وأعوانا فى خدمتهم فان أمتكم تحبهم كما تحبكم وأعلموا أن هذه الحرب المنتظرة ستظهر للعالم عظيم همتكم وشهامتكم وتعلي بين الامم شأنكم فهل أنتم على ما أعهده فيكم من البسالة والشجاعة؟؟

لم يكد ينتهى القائد بونابرت من هذا الكلام حتي انبعثت روح النخوة والحمية فى نفوس الضباط ولاحت عليهم جميعاً سمات الانتعاش والنشاط وتقدم القائد كليبر الى بونابرت وقال اني ياسيدي بالاصالة عن نفسى وبالنيابة عن باقي اخوانى الضباط أصرح لكم جهرا بانه اذا كان الحصول على آمالكم متوقف على الهمة والاقدام فدونكم أبطالاً يلجون أبواب الجحيم ويطأون النار وهم حفاة الاقدام عندئذ هتف جميع الضباط (تحيا فرنسا يعيش القائد) وقد علت بينهم الضجة وكثر الهرج واللجاج فاوعز بونابرت اليهم أن يحافظوا على السكينة ولا يذيعوا خبر هذه المداولة السرية ويجعلوا أمر هذه المهمة مكتوماً الى ان يقضى الله أمرا كان مفعولاً

فاجابوا جميعاً بالرضوخ والاذعان وخرجوا وكلهم السنة تلهج بالثناء والدعاء .

أما بونابرت فاشار الى كليبر بان يبقى فى حضرته بعد انصراف الضباط ولما خلا بهما المكان التفت نابليون اليه وقال له بلطفه المعهود لقد اطمأن الآن بالي وهدأ فكري فاطلب اليك ياعزيزي كليبر ان تكون نائباً عني فى المعسكر وتصدر الامر بتجهيز معدات السفر لاني لاأريد ان تطول مدة اقامتنا بهذه البلاد لئلا تتغير الافكار أو تختلف النية وأنت أدرى بتقلب أحوال المشيخة وتخبطها فى أعمالها فان كلمة تقيمها وكلمة تقعدها وخير البر عاجله قال اني ياسيدي رهين اشارتكم على الدوام . ثم ودع كليبر رئيسه وانصرف الى حال سبيله ليبادر الى اتمام مأموريته الجديدة

٤

خرج كليبر من دار القائد وهو في حالة من الاضطراب والارتباك يعجز القلم عن تعبيرها ولا يستطيع اللسان وصفها وقد كانت أمارات الحزن والكآبة ظاهرة على وجهه ظهور الشمس في رابعة النهار مهما حاول كتمانها واخفاءها فلم ذلك ياترى ؟

ان نابليون شهد لكليبر بانه أعظم القواد شجاعة واقداماً وانه قرنه الهمام وزميله الباسل فلماذا كان حزيناً كئيباً لما بلغه خبر الرحيل هل من كانت هذه أوصافه وأخلاقه يخشى لقاء الاعداء وشن الغارات الشعواء أو يرضى بالاحجام عن الوقوف فى ميدان الصدام ؟ أو هل كان

يعتقد أن وراء هذه الحرب مايتوقع حدوثه ويخشاه من الفشل والانكسار الذى يعقبه العار والشنار ؟ لالعمري لا هذا ولا ذاك فان كليبر كان أكثر الجنود ظماء للقتال وتشوقاً الى احراز قصب السبق فى مضمار النزال وكان أمله فى النجاح وطيداً ووثوقه بالفوز عظيماً ولكن ماظهر عليه من الارتباك والكدر كان نتيجة سبب آخر وسر خفى قد آن لنا ان نميط عنه اللثام ونرفع عن محياه النقاب .

قلنا ان كليبر كان عاشقاً متيماً ومحباً مغرماً ونحن نريد الآن أن نوافي القارئ الكريم بتفصيل ذلك ليكون على بصيرة مما هنالك كان القائد كليبر كما وصفناه شاباً جميل المحيا معتدل القوام جذاب الملامح كثير الدعة واللطف ولذا كان موضوع الاعجاب والانعطاف العام ولم يكن بين الخاصة والنبلاء في فرانسا الا من يميل اليه ويصبو الى معاشرته فاذا دخل الي الحفلات والمنتديات كان هو المشار اليه باطراف البنان . واذا ضمته مجتمعات الانس والرقص لم تعد تنظر الى سواه الأبصار أو تعقد الخناصر . ولو لم يكن نابليون أكثر منه شهرة من ذي قبل وقد بلغ صيته عنان السماء وناطح الجوزاء لحسده على ذلك واعتبره مزاحماً له فى احراز الشهرة والمجد وتوجس منه خيفة

ولا شك ان من كان مثل كليبر على ما علمه القراء عنه يسهل عليه ان ينال رضى الجنس اللطيف ويستعبد بمحاسن صفاته وجمال خلقه وخلقه جميلات النساء والغادات ولاسيما فى بلاد تعودت على اطلاق الحرية فى اختلاط الجنسين والاكثار من عقد مجتمعات اللهو والقصف كما كان هذا

شأن الفرنساويين فى ذلك الحين .

وحيث انتهى بنا الكلام الى هذا الحدفنستميح القارىء الكريم ان نقول كلمة عن حالة البلاد الفرنساويه في ذلك العهد لان لها علاقة كبرى بموضوع روايتنا وسياق قصتنا .

كانت الامة الفرنساوية في عهد بطلها العظيم نابليون الاول رافلة فى حلل الابهة والمجد ومختالة في ثياب العز والسعد وقدسكر أبناؤها بخمرة الانتصارات المتوالية والظفر المتتابع حيث هزمت الجنود الفرنساوية دولة ايطاليا فالاوستيريا بعد حروب هائلة ومعارك عظيمة كان يعقد فيها لواء الانتصار للفرنساويين ويعودون من ميدان الوغى ظافرين وقد ترتب على ذلك اجلال شأن الجندية وأعلاء كلمتها لانها هي التى شيدت مجد الامة ورفعت في الخافقين أعلامها . ولذا كان الجندي الفرنساوى يمشي فى ساحات باريس العمومية رافعا رأسه تيها وعجبا كأنه يشعر من نفسه بحقيقة منزلته فى البلاد ويختلط الضباط والقواد باعظم عائلات الامراء والكبراء وبيوت الحسب والنسب فيحسنون وفادتهم ويكرمون مثواهم ويقبلونهم فى أعظم حفلاتهم ومجالسهم على الرحب والسعة ويخطبون صداقتهم ومعاشرتهم فى غالب الاحيان .

ولا يخفي ان الحكومة الفرنساوية كانت دستوريه وقتئذ يتولى فيها النهى والأمر خمسة من الرؤساء يدعوهم الشعب الفرنساوي أعضاء الجمهوريه أو (المشيخة) على ان أفراد العائلات المطالبة بسرير الملك فى فرنسا لم يكن يروق هذا الحال لديهم وكانوا لم يزالوا يعللون أنفسهم

باسقاط الجمهورية واعادة السلطة الملوكية فاظهروا التودد والتحبب الى رجال العسكريه ليكونوا لهم عونا على تنفيذ تلك البغية لانهم أقدر من غيرهم على القيام بهذه المهمة الخطيرة وتذليل كل العقبات والصعوبات وما درى هؤلاء الامراء ان رئيس الجنود الاعظم البطل نابليون كانت تجول هذه الآمال فى خلده ويعلل نفسه بالحصول عليها وان ذلك الاسد اذا نهض من عرينه يطلب فريسة له فلا بد ان يلتهمها وحده ولا يتركها لغيره من الثعالب والذئاب .

ه

كانت علاقة الامراء والمطالبين بسرير الملك في فرانسا مع بعض كبار رجال العسكريه على غاية مايرام كما قلنا وكان للقائد كليبر بطل قصتنا من الصداقة والوداد مع أعظم عيال المجد في فرانسا النصيب الاوفر فكان كثير التردد على مجالسهم ومجتمعاتهم ولم تكن تفوته حفلة انس أو رقص من حفلاتهم وكان أكثر الامراء توددا اليه البرنس دى بوربون أحد أفراد تلك العائلة الملوكية التي كانت تطالب بسرير الملك بعد سقوط الملكية ودخول فرانسا في دور الجمهوريه وقد كان لهذه العائلة أعظم شأن وأكبر نفوذ وكانت لم تزل تتمتع بشيء من آثار الابهة والمجد ولكن الامير الذى نحن بصدده كان من الذين اندفعوا مع تيار الملاهي والمفاسد وانغمس في حماة الشهوات والملذات فاضاع جانباً عظيماً من ثروته التى ورثها عن آبائه وأجداده وأضاع معها ما اشتهر عن عائلته من الانفة والشهامة وعلو الهمة .

على ان البرنس دي بو ربون بعد ان أوصله جهله وتهوره الى هـذه الحالة الوبيلة صحا اخيراً من سكرته وأفاق من غفلته وأدرك حقيقة حالته وما جلبه على نفسه من العار والضرر فأراد ان يصلح ماأفسده الدهر ويتدبر في اتخاذ طريقة للخلاص من هذه الورطة وكانت له ابنة تدعى (ماري) اشتهرت بالحسن الرائع والجمال الفتان وأسرت بمحاسن آدابها وجمال خلقها وخلقها القلوب والافئدة فلم تكن تظهر في الحفلات العمومية الا شخصت اليها الابصار واشرأبت نحوها الاعناق وعلت أصوات المهللين وتصاعدت زفرات العشاق . وقد كانت ماري على حداثة سنها (لانها لم تناهز العشرين من العمر) آية في الذكاء والنباهة وحدة التصور وهـذا ما زاد الناس تعلقاً بها وميلاً اليها فكان طلابها يزيدون كل يوم وكان الامير يردهم على أعقابهم لانه كان يعلل نفسه بتزويجها لرجل من أعظم الاغنياء والمثرين مهما كانت صفاته ليتمكن بذلك من مداراة حالته والتستر على دخائله ووفاء بعض الديون المتراكمة عليه ولم يدر هذا الأحمق الجهول ان المضاربة في الزواج والمتاجرة به ليست جائزة في شريعة العقل والانصاف وان الله خلاف الظنون .

وكان القائد كليبر كما قلنا كثير التردد على دار الامير فكان كلما وقع نظره على ماري يهيم وجداً بها ويتمنى لو أسعده الدهر بنوال قربها وهي لم تكن تظهر له شيئاً من الجفاء والنفور وكلما وقعت العين على العين شعر كليبر بخفقان عظيم في قلبه وانتعاش داخلي في نفسه وشعرت ماري أيضاً بمثل ذلك فتفتر عن ثغر كالدر ثم تطرق برأسها الى الارض حياء وخجلا .

قلنا ان الامة الفرنساويه كانت في ذلك العهد ثملة بخمرة الظفر والانتصارات وقد رفعت رأسها الى العلاء مفتخرة متباهية وأذاعت المشيخة الفرنساويه وقتئذ منشوراً أمضاه أعضاؤها في طول البلاد وعرضها تهنئ فيه الأمة على ما أحرزته من المجد بفضل رجالها وأبطالها وما أظهروه من ضروب البسالة والشهامة وتصرح بان الجمهورية لاتألو جهداً في رفع منار الدولة واعلاء كلمتها وانه لابد للفرنساويين من أخذ ثارهم والانتقام من عدوتهم الخداعة -انكلترة- لانها هي التى كانت تتظاهر بعداوتهم وتجاهر بعما كستهم فى كل حروبهم الماضية وتمنى لهم الفشل والخذلان ولكن قد رد الله كيدها في نحرها وظفر أبناء فرنسا بكل أعدائهم وفازو باوطارهم فما بقي عليهم بعد ذلك الا الانتقام من ذلك العدو ومزاحمته فى الفتح والاستعمار

وأول ماوجه اليه الفرنساويون عنايتهم فتح القطر المصري والاستيلاء عليه ليمهد لهم ذلك سبيل الاستعمار فى المملكة الهنديه الشاسعه الارجاء فيعملون على نكاية الانكليز وسعاكستهم ويوقفونهم عند حدهم

وكلما فكر الفرنساويون فى هذا الأمر رقصت أفئدتهم طرباً وسروراً وزادوا فرحاً وحبوراً ولذا كانوا يكثرون من أقامة حفلات الانس والطرب وأحياء ليالى الرقص واللهو . وقد كان البرنس دي بوربون مع ما علمنا عن تضعضع حاله ونفاد ثروته وتراكم الديون عليه لايستطيع الان يجاري اخوانه الباريسيين فى لهوهم وسرورهم ويشاطرهم الفرح باقامة الحفلات وأحياء الليالي الراقصة فلما أتى دوره وزع رقاع

الدعوة لحضور حفلة رقص بديعة في داره التى هي في قصر جميل الموقع بديع الهيئة يشرف على غابة بولونيا البديعة التي قال فيها بعض واصفيها

حرش كأن الغاب فيه من الغضا * هلمت فحبكت الغصون تحصنا
غاب بها الغزلان ترتع والمها * ترعى فلا وحش ولا غيل هنا
وهنا ضراب عيون عين لاظبا * وكذا طعان قدود غيد لاقنا
وسنادس بالاقحوان تسمطت * فحكت سماطا بالكؤوس تزينا
وخمائل بالياسمين تسيجت * فهناك سلطان الزهور توطنا
وجداول للروض منعطفاتها * اضحت اساور نعم هذا المقتنى
فاذا تأملت البحيرات التي * تجري هناك وبطها المتبطنا
لعجبت من بحر جرى في روضة * ومراكب سارت عليه بلا عنا
فالصخر من جبس الثرى ورماله * لاملح كاس قام من هدم البنا
(وكذامن السين) المياه جرين لا * من ذوب ثلج في الجبال تمكنا
لكنما هيهات يمكن ناقداً * تمييز ذا المبني عن ذاك البنا
وجميع ذلك صنعة الايدي فما * ليد الطبيعة من مواقع ههنا

٦

والحب أول ما يكون مجانة * فاذا تمكن صار شغلا شاغلا

كان حب ماري وكليبر في ذلك الوقت ينمو رويدا حتى تمكن وتأصل وكادت تظهر آثاره عليهما لولا ما كانا يتخذانه من وسائل المداراة والحذر كما تقضي عليهما حالهما وظروفهما الحرجة فان ماري كما علمنا كانت عالية النفس شريفة الطبع قد خصها الباري بكل مايعلي شأن المرأة ويرفع مكانتها من

مثل العفـة والطهارة ورقة العواطف ومكارم الاخلاق وشرف المبادئ كما صاغها فى قالب الحسن والجمال لتكون فتنة الناظرين وموضوع أعجاب النـاس أجمعين . وكذلك القائد كليبر كان كثير الحيـاء وقلبه مفعم بشريف العواطف وجميـل الاحساسات فكان لايجسر على التهتك فى سبيل الهوى والمجاهرة بمـا يكنه قلبـه من الواعج الوجـد والغرام لأنه يعـلم من أحوال وأميال صـديقـه الامـير والد ماري مالا يعلمه سواه وقد أدرك بدهائه ونباهته ان الامير لا يرضى مطلقاً بتزويج ابنته بمن كان مثله من القواد والضباط لانه طامع فى احراز الثروة والجاه من وراء هذا الزواج . ولذا رأي من مقتضيات الحكمة والصواب ان يكتم حبـه وهواه ولو كان فى ذلك زيادة تعـذيبـه وشقائه الى ان تلوح له بارقـة أمل أو يأتى الله أمراً كان مفعولا .

على ان الشاعر العربى يقول

دلائل الحب لاتخفى على أحد * كحـامل المسك لايخلو من العبق

فان والد ماري لم تكن تخفي عليه خافية من أمر ابنته ولـكنه لم يكن يخطر بباله ان القائد كليبر يجسر على طلبها لما بينهما من البون الشاسع والفرق العظيم أو ان ابنته تخالف أمره اذا هو عرض عليها التزوج برجـل من نبلاء البلاد وكبار أغنيـائها وبهذه المثابة ينحسم الاشكال و ينقطع بينهـا وبين كليبر حبل الآمال وعلاقـة الاتصال .

قلنا ان الأمير دي بوربون وزع رقاع الدعوة لحضور ليلة رقـص أحياها فى داره التى تشرف على غابة بولونيا وقد كان القائد كليبر طبعـاً

من أول المدعوين وما وافت الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم المعهود حتى أخذ المدعوون يفدون زرافات ووحدانا وقد غصت بهم قاعات القصر على سعتها

وكانت تكتنف قصر الأمير حديقة غناء وروضه فسيحة فيحاء زينت في تلك الليلة أبهى زينة ونصبت فيها الثريات الجميلة وأضاءت بها الانوار الباهرة وكذلك زينت غرف القصر كلها بأحسن التحف وأثمن الرياش حتى صارت بهجة الناظرين وجنة الرائين وأصبح يجمل ان يقال ان ليس فى الامكان أبدع مما كان

وكان الأمير دي بوربون يستقبل جمهور المدعوين باللطف والبشاشة والايناس ويحييهم أحسن تحية والخدم جميعاً كانوا في هرج ومرج والدنيا قائمة قاعدة وآلات الطرب وأنغام الموسيقي تشنف الاسماع بالانغام والالحان المنعشة الشجية وبالجملة فقد توفرت في تلك الليلة كل معدات الانس والانشراح ولم تبق حاجة في نفس يعقوب .

ولما كاد الليل ينتصف فتحت أدوار الرقص وقد حمى وطيس الطرب ولعبت بنت الحان برؤوس الحاضرين فزفت الموسيقى بالحانها الجميلة واندفع الراقصون (وهم كثيرون) يموجون فى وسط تلك الانوار المتلألئة كالبحر الزاخر وقد انضم الساق الى الساق. وأشرأبت الاعناق وكثر الهرج والمرج وتصاعدت زفرات العشاق وأخذ الراقصون يتفننون فى أدوار الرقص ويحركون أعضاءهم بانتظام على نغمات الموسيقى وبديع الالحان • فيقفزون كالظباء ويميسون تيها كالغزلان . وقصارى القول ان

كل من ضمهم هذا المحفل فى تلك الليلة بلغت بهم بواعث السرور والانتعاش منتهاها فأعطوا النفس مشتهاها وتناسوا كل مهام الحياة وهمومها . وهذا شأن الانسان فى هذا العالم قد تمر به ساعة من الزمان أو برهة من الوقت يظن نفسه فيها أسعد الناس حظاً وأحسنهم حالاً وأهنأهم عيشاً وأهدأهم بالاً حتى اذا مضت وانقضت عادت اليه متاعب الحياة ومصائبها ولم يعد يعرف للهناء اسماً ولا رسماً وهذ معنى الحياة وهذا غاية مايصادفه فيها الانسان من اللذة الموهومة والسعادة المزعومة وهذا هو العيش لولا انه الفاني .

وعند ئذ دني القائد كليبر الي ماري فاتنة باريس وغادتها الجميلة (ابنة دي بوربون) وقدلعبت به عوامل الغرام . واستفزته أريحية لوجد والهيام. وطلب اليها أن تصحبه لفتح أول أدوار الرقص فأحنت الفتاة رأسها علامة الرضى ولم تستطع ان تفوه ببنت شفة لما اعتراها من الحياء والخجل وكانت هذه أول مرة ظهر فيها حب ماري وكليبر جهراً باجلى وضوح وهيهات ان يستطيع العاشقون الصبر والكتمان واخفاء مايخالج قلوبهم من لواعج الوجد والغرام الى ماشاء الله . وقبيل الانتهاء من الرقص مال كليبر الى حبيبته فهمس فى أذنها كلمة ثم انفصلا عن بعضهما ولم تمض بعدذلك برهة من الزمان حتى اختفيا عن العيان ولم يعد يراهما أحد بين الحاضرين .

٧

لما دنا كليبر من حبيبته وهمس فى أذنها كان يريد منها ان تسمح

له بساعة خلوة يبث لها فيها غرامه ويطلعها على حقيقة حاله فاذا رأى منها ميلاً اليه ومشاركة له في عواطفه وأمياله تعاهدا على الحب وتعاقدا على الاخلاص والوفاء والا عول على الصبر والسلوان ورضى من الغنيمة بالاياب وتناسى حبه ولو جلب ذلك عليه البلاء والعذاب فاوعز اليها ان توافيه الى حديقة القصر التي كانت وقتئذ خالية خاوية ساد فيها سكون الليل وضرب الهدو بها أطنابه وأرخي عليها سدوله فلا يسمع بها الا حفيف الاشجار وخرير الماء . فهي أصلح مكان لاجتماع العشاق وبث لواعج الاشواق حيث لا تراهم عيون الرقباء ولا تكدر صفاء اجتماعهم مزعجات الايام وسماجة العذال واللوام أما ماري فكانت تحاول بادئ ذي بدئ الامتناع عن الذهاب الى محل ذلك الموعد والاجتماع لانها ترى في ذلك خدشاً لناموس الآداب التي تربت في ظلها وشبت تحت كنفها ولكن عامل الحب كان متغلباً عليها وآخذاً من قلبها كل ما أخذ ولم تكن تستطيع التغلب على هذا العامل القوي والسلطان الجائر القاهر فكان موقفها في هذا المقام حرجاً وفكرها في اضطراب وارتباك لا تعي شيأ ولا تستقر على رأي ولكن تغلب أخيراً سلطان الغرام على كل عامل آخر سواه وهكذا اختفت ماري عن أعين الحاضرين وسولت لها نفسها موافاة حبيبها الى محل الموعد المعهود

ولما وصلت الى الحديقة وجدت كليبر في انتظارها يمشي الهوينا وقد كان يجيل النظر الى باب القصر الذي يشرف على الحديقة وينتظر قدومها بفروغ صبر على أحر من الجمر وكله عيون شاخصة وأنظار متجهة

الى هذا المكان حتى اذا لاحت منه التفاتة وشاهد فاتنة لبه وآسرة قلبه بادر اليها مسرعاً فاخذ بيدها وأجلسها بجانبه على مقعد من الخشب وراء شجرة كثيفة الاغصان فى تلك الحديقة أمام مجرى من الماء النقى كانت ماري قد تعودت على الجلوس به الساعات الطويلة لتناجى قلبها وتشكو الى الله ماتعانيه من تباريح الحب وآلام الغرام .

ولما استقر بهما المقام دنا كليبر من حبيبته فقبض على يدها فقبلها ونظر اليها نظرة الوله والوجد وكانت عيناه مغرورقتان بالدموع وقلبه يخفق خفقاناً شديداً تكاد تسمعه الآذان ويثبته الوجدان وينم به اللسان . وكانت هذه أول مرة اجتمع فيها كليبر بحبيبته على انفراد بعد طول المعاشرة وكثرة التردد فكان يريد أن يفصح لماري عن حقيقة قصده من طلبها فى مثل هذه الساعة الى هذا المكان وانفراده بها تحت جنح الظلام ولكن لم يكن لسانه يطاوعه على الكلام وكلما حاول الافصاح اعتراه الاندهاش والذهول وتغلب عليه الخوف والوجل فيتلعثم لسانه ويلازم الصمت والسكوت وغريب والله أن يكون هذا شأن بطل فرنسا العظيم ورجل الوغى الباسل الذي طالما شهده الفرنساويون يندفع بين صفوف الاعداء ويشق عباب النيران معرضاً صدره لرصاص البنادق وقنابل المدافع وأسنة القنا فيبدد شمل الفرسان ويردهم على أعقابهم مدحورين ثم هو الآن يقع صريعاً مهزوماً أمام عيون ماري ولواحظها الفتانة الساحرة تلك الفتاة الضعيفة التي لاحول لها ولا قوة ولكن لاغرو في ذلك ولا عجب فان سلطان الجمال ليس فوقه سلطان ولايستطيع أعظم

الابطال والشجعان الآن يحنوا رؤوسهم أمامه علامة الخضوع والاذعان وبعد سكوت طويل نابت فيه العيون عن اللسان فى اظهار دخائل القلب ومكنونات العواطف تجلد كليبر وفتح فاه بعد هذا السكوت الطويل فقال : — أنى أسألك أولا أيتها الغادة المحبوبة أن تسامحيني على مابدا مني الآن حيث تجاسرت على دعوتك الى هذا المكان في مثل هذه الساعة ولا شك انى أقلقتك وثقلت عليك كثيرا ولكن الامر ياء ولاني خطير ولهذه المقابلة شأن عظيم كما ستعلمين وهذا ماحدا بى الى ركوب هذا المركب الخشن وارتكاب هذه الجسارة نظرتك ياسيدتى فاحببتك وحاولت أن أكتم هذا الحب أو أسلوه فلم أستطع الى ذلك سبيلا وأنا أعلم ان بيننا من التفاوت فى الرتبة والمقام ما من شأنه أن يضع العقبات والعثرات في سبيل حبنا ولكني رأيت منك من التودد لى والانعطاف نحوي ماحملني على مفاتحتك فى هذا الامر فان كنت مصيبا في اعتقادي فاريد الآن أن أسمع كلمة الرضى من فمك فاجاهد فى سبيل حبك غير هياب ولا وجل وأملي وطيد بنجاح مسعاي فى الحصول عليك واقناع والدك باتخاذك قرينة لى مهما كانت الموانع والعوائق وان كنت ياسيدتى قد ارتبطت مع سواي بعهد أو كان ماظهر لي منك الى الآن غير الذي ظننته وكنت واهما فانا أسلو هواك ولا أفعل الامايكون فيه راحتك ورضاك ولوان ذلك يسبب تعاستي وشقائي . ويزيد في عذابي وعنائى .....

كان كليبر يتكلم هذا الكلام وماري مطرقة الى الارض لاتبدي حراكا ولاتفوه ببنت شفة وكانت كلما أرادت ان ترفع رأسها وتجيب كليبر

على سؤاله يغلبها ضعفها النسائي وحياؤها الطبيعي فتعود الي أطراقها وصمتها ولكن كابير كان يسألها في أمر هام ولا بد لها من الرد على سؤاله بالسلب أو الايجاب لان هذا الجواب يتوقف عليه مستقبل رجل أوقف قلبه على حبها ولم يرض من الدنيا الا بها فان شاءت أماتته باليأس والقنوط وان شاءت أحيته بالرجاء والامل

فلما رأي منها هذا الصمت والاطراق هاله الامر وخشي ان يذهب تعبه في تدبير هذه المقابلة أدارج الرياح ولكنه كان يقرأ في عيني حبيبته ويرى على ملامحها ما يدعوه الى التجلد ويبعث فيه روح الامل والرجاء فاندفع في تيار الحب والوله وتغلبت عليه عوامل الوجد والهيام فاخذ بيد ماري فقبلها واقترب منها وقد زاد خفقان قلبه واشتد تصاعد زفراته حتى كادت تسمعها الآذان ويتم بها هدو الليل وسكون الطبيعة في مثل هذه الساعة وقال بصوت خافت كادت تخنقه العبرات: اني أعلم ياسيدتي ان من تربت مثلك في مهد الأدب والعفاف وشبت على مبادي الفضيلة والحياء لا تستطيع الاجابة على سؤالي من أول وهلة ولم يكن يخطر ببالك انك ستقفين هذا الموقف الحرج وتسألين مثل هذا السؤال ولكن مالنا ولهذا الحياء والخجل فانا ياسيدتي لا أريد ان أغرر بك ومعاذ الله ان أكون من أولئك الشبان المفسودي الاخلاق الذين يستحلون غش الفتيات الطاهرات الذيل ويدفعونهن الى عمل ما يوجب الندامة والخجل بل انا أريد ان اتخذك حليلة تشاطرني الحياة وتقاسمني العمر فاحيا سعيدا مغبوطا وأنسي بك العالم كله فناشدتك الله ياحبيبتي ان لا تزيدي في عذابي وتجيبيني على

سؤالى فاني أريد ان أسمع كلمة الرضي من ثمك العذب فيحيا في ميت الامل والرجاء . ... مالك صامتة لا تجيبين أليس فى قلبك الطاهر ذرة من الميل والانعطاف الي هذا التعيس المسكين الذى يرى كل السعادة والنعيم فى حبك ورضاك ومنتهى التعاسة والشقاء في صدك وجفاك مارى مارى أجيبيني بالله ولا تقطعى بيدك اللطيفة حبل رجائى وحاشاك ان تفعلى ذلك وأنت ملاك الوداعة والسلام قوني تكلمي ألا تحبينني ألا تشعرين بخفقان قلبك وتصاعد زفراتك كما أشعر الآن ....

عندئذ لم تر مارى بدا من الاجابة فرفعت رأسها ونظرت الى كليبر نظرة فيها الجواب الشافى والتصريح الكافي وحاولت ان تفوه بكلمة تؤيد هذا التصريح ولكن تلعثم لسانها وخانها حياؤها فحنت رأسها ثانيا علامة الرضى والتصديق ولم تجسر بعد ذلك على المكث والبقاء فنفرت كالغزال الشارد واختفت عن العيان وتركت كليبر وحده يضرب أخماسا لاسداس ويتلذذ بترديد ماجري أمام عينيه في تلك الساعة بذاكرته كأنها أضغاث أحلام رآها فى المنام



(٨)

بعد هذه المقابلة الليلية ابتدأت علاقات المحبة والوداد تزداد تمكناً ورسوخاً في قلب العاشقين (ماري وكليبر) وصارا يعللان نفسيهما بتذليل مايصادفهما في طريقهما من المصاعب والعقبات وقد ملأت الاماني والاحلام اللذيذة رأسيهما ولا غرو في ذلك فهذا شأن العاشقين اذا وثق أحدهما بالآخر وكان قلبيهما على تمام الوفاق والائتلاف وتبادل احساسات الحب وعواطف الاخلاص تمهد أمامهما كل أمر عسير فلا يباليان بعد ذلك بما يعترضهما في سبيلهما من العوائق والبوائق مهما كانت جسيمة هائلة سنة الله في خلقه وهيهات ان تجد لسنة الله تبديلا .

ومن ثم أخذ كليبر يكثر من التردد على بيت الامير دي بوربون فاذا خلا له مع حبيبته الجو انفردا بمعزل عن عيون الرقباء وطفقا يبثان لبعضهما مايكابدان من لواعج الوجد وتباريح الغرام ويتعاهدان على الجهاد في سبيل الحب وحفظ الذمام . وكان قد شاع على أثر حفلة الرقص التى أحياها الامير دي بوربون في قصره ان كليبر وماري مرتبطان بعوامل غرامية وروابط عشقية بسبب اختفائهما عن الانظار على تلك الصورة في الليلة المعهودة وقد كثر بعد ذلك التهويل والارجاف وانتشر القال والقيل ولو علم هذان العاشقان المسكينان ان انفرادهما لحظة من الزمان سينجم عنه كل هذا العناء لاحجما عن هذه المقابلة ودبرا طريقة أخرى تكون أسلم عاقبة وأقل خطراً ولكن هو الحب يعمى ويصم واذا امتلأ الاناء لابد وان يفيض وقد تغلب سلطان الغرام في تلك الليلة على هذين العاشقين

بما توفر فيها من مهيجات العواطف وعوامل المؤثرات فلم يستطيعا صبراً على طول التعلل والكتمان أما الامير دي بوربون فقد هاله أمر هذه الاشاعات وخشي أن يكون وراء ذلك مايسؤه ويوقف تيار مطامعه ونواياه فرأى ان الاجدر ان يقطع بين العاشقين حبل الاتصال قبل ان يتفاقم الداء ويعز الشفاء وما درى أنه قد سبق السيف العذل وقطعت جهيزة قول كل خطيب وأول شيء فكر فيه منع ابنته من الاختلاط بذلك القائد فلا يحسن وفادته خلافاً لعادته فينقطع عن زيارته وينحسم الاشكال ثم يعجل في زواج ابنته بمن يقع عليه اختياره من ذوي السعة واليسار فيفوز بما يتمناه ويأمن شر المستقبل وتقلبات الظروف .

هذا كان عزم الامير وهذا ماعقد عليه النية ولكن الشيء المهم في هذه المسألة هو انتقاء ذلك الزوج العتيد وكيفية الوصول اليه وقد أخذ يفكر فى هذا الامر كثيراً ويستجمع فى ذاكرته أسماء كل من عرفهم من كبار الاغنياء والمثرين حتى اهتدى أخيراً الى ضالته المنشودة فرقص فؤاده طربا وأيقن بدنو الفرج وانفراج الازمة . ذلك انه كان قد تعرّف منذ بضعة سنوات بعائلة انكليزية غنية وفدت الى البلاد الفرنساوية من عهد بعيد وعاش أفرادها فيها معيشة الترف والبذخ ولم يفكروا في مغادرتها لانهم ارتبطوا فيها بمصالح مالية وأشغال تجارية . وكان رئيس هذه العائلة وزعيمها الاكبر يدعى (شارل) وهو رجل يناهز الاربعين من العمر كان قد تزوج بفتاة غنية من العائلات الكبيرة ولكنها لم تلبث ان قضت نحبها وخلفت له ثروة هائلة ضمها الى ثروته الاصلية

فصار من كبار أغنياء زمانه فى ذلك الحين .

وكان شارل هذا بعد وفاة زوجته يهيم فى وادي الترف ويتهتك في سبيل الخلاعة والمجون وقد راقت هذه المعيشة في عينيه فلم يعد يفكر في أمر الزواج وسبب تعرّف الامير دي بوربون به هو سابق معاملته معه فى شؤون مالية لان شارل كان من المرابين الماهرين ولو انه لم يشتهر بصفات البخل والشح مثلهم وللناس فيما يعشقون مذاهب .

اذن فقد كان بين الامير دي بوربون والسيد شارل جامعة توافق فى المشارب والاخلاق فضلا عن جامعة المعاملة والاحتياج فابتدأ يتأهب لاتمام هذا المشروع وقلبه يحدثه بالفوز والنجاح لاعتقاده ان دوام الحال من المحال وان ابنته لابد وان تغتر مثله بثروة السيد شارل فتنقاد اليه وتضحي حب ذلك القائد على مذبح هذه المصلحة المالية الخطيرة ولسان حاله يقول

دع المقادير تجرى في اعنتها * ولا تبيتن الا خالي البال
مابين طرفة عين وانتباهتها * يغير الله من حال الى حال

(٩)

اذا لم يكن غير الاسنة مركبا * فليس على المضطر الا ركوبها

هذا ما كان يدور فى خلد الامير ويظنه أمراً ميسوراً ولم يكن يخطر بباله قط ان ماري قد تمكن حب كليبر من قلبها الى درجة انها قد يسهل عليها ان تعصى والدها فى سبيل حبه وتستحل ماهو أعظم من ذلك اذا دعت الحال وقد قال الشاعر

واذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب في حديد بارد

فاختلى الامير بابنته وأطلعها على حقيقة نواياه ومقاصده وأخذ يطنب في مدح السيد شارل ويكثر من الاعجاب بمحاسن أخلاقه وما اشتهر به من السخاء والكرم والثروة الكبيرة والغنى الوافر وعلو الحسب والنسب والمجد الاثيل

كانت تسمع ماري كل ذلك وهي مطرقة برأسها الى الارض لاتبدى حراكا ولا تفوه ببنت شفة ولكنها لما رأت من أبيها اللجاجة والالحاح وتذكرت وعودها وعهودها مع حبيبها القائد كليبر وقد تمثلت صورته المحبوبة أمام عينيها في تلك الساعة فلم يسعها الا المجاهرة بالرفض والاباء فرفعت رأسها ونظرت الى أبيها نظرة الوداعة والاستعطاف وقالت وقد صبغ الحياء وجهها

— انى لم أفكر بعد ياابتى في أمر الزواج

— قال ولكن قد آن لك ياابنتى ان تفكرى فى هذا الامر وأنت الآن في السنة الثانية والعشرين من العمر .

قالت ولكنى أستميحك العفو يا أبتى في طلب تأجيل ذلك الى فرصة أخرى فاني أريد ان أتمتع بلذة الحرية برهة من الزمن أيضا

قال وما الداعى الى هذا التأجيل والفرصة ثمينة وخطيبك من الذين يندر وجود مثلهم فى هذا العصر فنخشي ان يفات من يدنا فنندم حيث لا ينفع الندم . عندئذ ظهرت أمارات الأنفة وعزة النفس على محيا ماري الجميل ولم تمالك نفسها من شدة ما اعتراها من التأثر والانفعال لانها رأت من والدها هذا الاصرار والالحاح وظهر لها جليا انه لايقصد من تزويجها

الا المتاجرة وقضاء مصالحه الشخصية ومآربه الذاتية فحاولت ان تجاهر بما يكنه قلبها من الدخائل الخفية والعوامل المستترة وتهدم بكلمة منها كلما بناه والدها من علالي الاماني وقصور الآمال ولكنها عادت فتذكرت ان الذي تخاطبه هو والدها ومصدر حياتها وعلة وجودها وان له عليها الامر والسلطان وعليها الطاعة والاذعان على كل حال ولكن هذا الاب يريد ان يظلمها ويهضم حقها ويدوس على مصلحتها فكيف تطيعه بعد ذلك وترضخ لارادته القاسية وحكمه الظالم . هكذا كانت هذه الاحساسات والاميال المتباينة تنازع قلب ماري حتى تغلب عامل الحب على قلبها فنم لسانها بما يكنه فؤادها وقالت وقد هاجت جوارحها وظهر الانفعال على وجهها .

— ولكني أرفض التزوج يا أبي بالسيد شاول بتاتاً ، فنزلت هذه الكلمة على قلب الامير أشد وقعاً من السهام لانها حطمت كل ما كان يعلل به نفسه من دنو ساعة الفوز والفرج وأدرك في هذه اللحظة حقيقة موقفه أمام ابنته التي ملأ الحب قلبها وعلم ان سلطان الهوى ليس فوقه سلطان ومن الجهل ان يطأ الانسان مصلحة غيره تحت قدميه حباً في ترويج مصلحته ويخالف سنة الطبيعة المقدسة فيعامل غيره بما لا يحب ان يعامله به سواه

على ان مثل الامير بوربون على ما عرفه القارئ من أخلاقه وأحواله لم يكن من الذين تثنيهم العثرات فيقعون في وهدة اليأس والقنوط لدى أول وهلة بل سوّلت له نفسه ان يعمد الى الضغط والارهاب واتخاذ سياسة العنف والاجبار مع ابنته وظن ان الذي لم ينله منها بطريق المداهنة واللطف

ربما ناله من سبيل الارهاب والعنف لان للاب على أولاده الأمر والسلطان ونفوذه في بيته لا يقل عن نفوذ الحاكم المطلق التصرف فى رعيته.

حينئذ حملق الامير بنظره ورمق مارى شذرا وقد كان الشرر يتطاير من عينيه وقال بغضب وانفعال

ماهذا الذي أسمعه منك يامارى أترفضين الاقتران برجل من أشرف النبلاء يقدمه لك أبوك الذي لا يهمه الا راحتك ورضاك وهو أدرى منك بما يضرك وما ينفعك. أهذه ثمرة التربية ونتيجة التهذيب وهل هذا آخر ماتعلمتيه من دروس الطاعة ومعرفة الواجبات

قالت اني ياأبتي لا أعصى لك أمراً ولا أخالف رأيا ولكنى لا أريد ان أتزوج ولا أحب ان أبيع حريتي الشخصية بثمن بخس ......

قال كفى كفي فقد أدركت الآن كل شيء فانت تريدين ان تموهي عليّ ياغبية فهل تظنين انى أجهل حقيقة حالك وما يخامر فؤادك فانت تريدين ان تتخذي ذلك القائد كليبر بعلا لك وهو من آحاد الناس وأواسط القوم ولكن اعلمى ان منزلة الاشراف في بلادنا لاتدانيها منزلة ولا يصح ان يخالط مثل هذا الرجل بعائلتنا مطلقا وسأعلمك كيف تكون طاعة الوالدين بعد الآن

قال ذلك ثم ترك ابنته وخرج مرغيا مزبداً وموعدا متهددا فاصدر أمره لجميع الخدم بمنع القائد كليبر من الدخول الى بيته وانتدب من بينهم خادمه خداعة ماكرة جعلها رقيبة على أحوال ابنته ومتجسسة أمر علاقتها مع حبيبها لتوافيه بكل ما تعلمه عنهما بدون ان تشعر مارى بشيء من ذلك

(١٠)

لما خلت ماري بنفسها بعد هذه المناظرة القصيرة التي دارت بينها وبين والدها وعادت اليها سكينتها واستجمعت حواسها طفقت تلوم نفسها على ما فرط منها وقد هالها تهديد والدها وودت لو ان علاقتها مع ذلك القائد كانت مجهولة لا يعلم بها أحد حتى نفس والدها الى ان تبدو بارقة أمل أو يقضى الله أمراً كان مفعولا . ولكن ما العمل وهي لم تقل الا ما أملاه عليها وجدانها ولم تفعل الا ما أوحاه اليها قلبها وهل كان في وسعها ان تفعل غير ذلك أو تجارى والدها في رأيه وترضخ لارادته ؛ على ان الموقف صار حرجا وهذا التصريح الواضح الذي صدر منها هاج عوامل الغضب فى قلب أبيها فما الحيلة في رتق هذا الفتق وتدارك الخطر .

بعد ان فكرت مارى مليا في هذا الامر لم تر مخرجاً أووسيلة غير اطلاع كليبر على كل ماجري ليتدبر معها في مايجب عليهما ان يفعلاه بعد الآن

وقد كان فى خدمة الامير شيخ هرم أحنت الأيام ظهره وبلغ من العمر عتيا وكان قبل الانتظام في سلك هذه الخدمة من رجال الجندية الذين خاضوا عباب المعارك وتجشموا أهوال الحروب وغوائلها ثم أقعده الكبر والهرم عن متابعة هذه الخدم بعدان ناهز من العمر السبعين فاشفق عليه الامير وضمه الي خدمه ليقوم بما يستطيع تأديته من الخدم السهلة والاشغال البسيطة وكان هذا الشيخ يدعى ليونارو وهو آية في الوداعة واللطف ومكارم الاخلاق وقد أحب سيدته ماري حباً جما لانه لم يرزق فى زمنه ولدا وقد رباها على ذراعيه منذ نعومة أظفارها وقام لها مقام الام بعد وفاة

والدتها فلما علم بما أصاب سيدته وما نالها من سخط والدها وعرف كل ماجري أقسم ان لابد له من الدخول فى هذا الميدان وآل على نفسه بان يخدم مولاته باخلاص وأمانة ويسعى جهده في ارضائها مع المحافظة على ولاء سيده وعدم التعرض له باذى كما تقضى واجبات المروءة والذمة .

قلنا ان مارى لم تر حلا لهذا المشكل غير مراسلة القائد واطلاعه على كل ما جرى، فتناولت القلم بيد مرتجفة وكتبت اليه تقول .

عزيزى كليبر

أكتب اليك الآن والقلم يكاد يسقط من يدي لما أشعر به من الارتعاش والخوف والدموع تترقرق في عيني لانى أتوجس خيفة من شر المستقبل

دعانى اليوم والدى اليه وفاتحنى في أمر الزواج وعرض علىّ ان أكون قرينة رجل لم تره عيني ولم يكن له محلا في قلبي ولما اردت اقناعه بالعدول عن فكره قام وقعد وأرغى وأزبد وزاده هياجاً وغضبا ما علمه من امر علاقتنا وقد أوعز الي الخدم ان لا يفتحوا أمامك بابا ولا يقبلونك عندنا ضيفا هكذا قضت شريعة ابي الظالمة وهكذا شاءت ارادته القاسية ولا تسل عما أنا فيه من الغم والحزن فان كل ساعة تمضي من أيامي السوداء بعد هذا الانذار الرهيب اعدها سنة بل اعتبرها دهرا ويا ليت شعري ماذا يكون حالى وكيف يصير مآلى اذا دام هذا الفراق بضعة أيام انى أشعر منذ الآن اني فقدت كل لذة فى الحياة وليس أمامي إلا الموت الذى فيه راحتي وخلاصى والا فكيف استطيع ان اعيش بعيدة عنك كما أراد ذلك الوالد القاسي القلب وانت موضوع سعادتي بل مصدر حياتي اني استودعك

يا حبيبي روحي وقلبي فافعل بهما ما تشاء ومرني بما تريد تجدني على الدوام

عبدتك الخاضعة المطيعة (ماري)

ثم استدعت ماري بعد ذلك ليونار ولما استوثقت من اخلاصه وتأكدت صدق ولائه وامانته كما كانت تنتظر سلمته الكتاب ليوصله الى القائد ولبثت تنتظر الجواب بفروغ صبر وهي على أحر من الجمر

١١

أريد من زمني ذا ان يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

كان كليبر في الوقت الذي أرسلت اليه ماري هذا الكتاب مدعواً الى دار القائد نابليون ليصدر اليه الامر بالتأهب والاستعداد للسفر كما علمنا في حينه وهذا الذي جعله حائراً مرتبكاً وقد استولت عليه عوامل الكآبة والحزن لما رأى ان الدهر أبى الآن يعاكسه ويقف حجر عثرة في سبيل سعادته ونوال أمانيه ولا تسل عما اعترى هذا البطل الباسل والعاشق المسكين من الغم والقنوط ويا لها من ساعة هول ترتعد لها الفرائص وتصطك الركب ليس أشد وطأة منها على قلب المتيم الولهان حيث تلجئه الظروف رغم انفه بمغادرة بلد فيها موضوع حبه ومالكة فؤاده ولبه ومنتهى آماله وهنائه

كانت تتمثل امام عيني كليبر في تلك الساعة بعد ان قرأ ذلك الكتاب حبيبته ماري وقد مدت له ذراعيها تضرع اليه ان ينقذها من ظلم أبيها وتناشده الحب والاخلاص بان لا يتركها ولا يتخلى عنها ومع ذلك فهو ذاهب الى حيث تقذف به المقادير وربما كان لا يستطيع ان يزودها النظرة الاخيرة قبل ذلك الفراق والرحيل وكلما خطر على باله هول تلك الساعة انتفض كالعصفور بلله القطر

وكاد يذوب من شدة الوجد والحيرة واخذ يناجي نفسه بصوت خافت وهو يقول :

آه يا إلهي كيف العمل لقد خاب الامل وسدت في وجهي سبل الحيل وأبى الدهر الخؤون الاّ معاندتي ومعاكستي فأنا لا أخشى الموت ولا أرهب المنون ولا أحسب للحياة حساباً ولكن كيف أغادر هذه الديار ولي فيها حبيبة يخجل جمالها البدور والاقمار وأنا أعلم ان أباها يريد ان يزوّجها برجل من أهل الوجاهة والثروة ولا يبعد ان يضطرها الى الانقياد له والاذعان لارادته طوعاً أو كرهاً لا لا اني لا أتركها ولا أفارقها مهما أفضى الحال ... ولكن ... هل يسوغ لي ان اخيب رجاء مولاي الذي وضع كل ثقته فيّ واعتمد في جميع اعماله عليّ لا لا ... لا بدّ من الرحيل ولو عاد عليّ ذلك بالوبال الوبيل فالنار فالنار ولا العار لا لا ... لا أترك حبيبتي ولو أدركتني منيتي فانها مصدر نعيمي وسعادتي فكيف تطيب لي الحياة بالبعد عنها ...

هذه كانت هواجس القائد كليبر ومخاوفه التي كادت تمزق احشاءه وتقضي عليه ولو كان من الذين لا يحيون الا لانفسهم ولا يهمهم الاقضاء لباناتهم ويضحون المصلحة العمومية على مذبح فائدتهم الشخصية لسمع نداء قلبه وانقاد لسلطان حبه ولكنه كان من أصحاب النفوس الكبيرة الادبية الذين يعرفون واجباتهم نحو امتهم ووطنهم وتطمح أنظارهم الى طلب المجد والعلى . لذلك عدل كليبر عن هذه الوساوس ونهض على قدميه منتصباً كمن يريد ان يطرد عن ذاكرته فكراً خبيثاً أو تذكاراً مؤلماً وعاد الى مناجاة نفسه وهو يقول لا لا . لمَ هذا التحير . والارتباك فالاجدر ان أصمم على فكري الاول وأجعل عليه المعوّل فان نفسي تأبى الاّ خدمة البلاد ورفع شأن الوطن ولو أحاقت بي الاحن وأدركتني المحن ..

عندئذٍ فكر القائد في ما يجب ان يتخذ من الاحتياطات الضرورية قبل

هذا السفر ورأى ان من الواجب عليه حتماً ان يزور حبيبته فيطلعها على نواياه ويتعاهد واياها على الاخلاص والوفاء في الحب فيغادر باريس مطمئناً مسروراً . ولكن كيف العمل وقد علم ان والد ماري ابى ابعاده عنها واصدر أمره باقصائه عن داره وهو يخشى ان يكون في دخوله بغير ارادته ما يوجب الحنق ويفضي الى ما لا تحسن عقباه وهو أشرف من ان يرضى بالاهانة أو يصبر على الضيم على ان هـذه الزيارة لا بدّ منها وخصوصاً بعد ان قراء كتاب حبيبته وعلم ما يتهددها من الخطر وما يحدق بها من النوائب

هذه الهواجس الجديدة كانت تثير عوامل الهياج في قلب القائد وتحرك عواطفه بشدة فائقة فرأى أخيراً ان لا مناص من الرضوخ لصوت الضمير والواجب وقال بصوت يخنقه الغيظ والحزن « ان حبيبتي تدعوني اليها في أحرج المواقف فمن الواجب عليّ ان أطير اليها على اجنحة السرعة مهما أفضى الحال » وكان الليل وقتئذٍ قد أرخى سدوله وانتهى الهزيع الاول منه فغير القائد زيه العسكري ولبس لباساً ملكياً واتفق مع ليونار خادم ماري الامين بان يجهز له سلماً في حديقة القصر تحت نافذة الغرفة التي تنام فيها سيدته بدون ان يعلم أحد بذلك من سكان القصر وبعد منتصف الليل خرج القائد كليبر متنكراً فتسلق سور الحديقة الخارجي بمساعدة أحد خدامه الامناء ولما ولجها كان السكون وقتئذٍ سائداً وخطى خطوتين الى الامام فلاحت منه التفاته فشاهد البقعة التي اجتمع فيها مع حبيبته عند أول موعد ضربه لها في ليلة الرقص المعهودة وتلك المقاعد الخشبية التي جلس واياها عليها لاول مرة يبثان لواعج الوجد والغرام ويتجاذبان أطراف الحديث فأغرورقت عيناه بالدموع وكاد يسقط على الارض مغشياً عليه من شدة التأثر والانفعال ولكنه تمالك نفسه وسكن جأشه وتقدم

بسرعة الى الامام فوجد السلم في مكانه وكانت قد خارت قواه وأصبح في حالة من الهزال والضعف لا يستطيع القلم وصفها حتى اذا رآه في تلك الساعة أقرب الناس اليه واخص اصدقائه لاشتبهت عليه هيئته ولم يستطع معرفته من شدة ما أصابه من الحزن والغم ومن ثم صعد الى الغرفة بكل هدوء وكانت هذه النافذة مفتوحة وفي الغرفة نور ساطع وماري جالسة على سرير وقد أسندت رأسها الى يدها وعينها شاخصة الى النافذة وهي غارقة في بحار الافكار وقد فارقت أجفانها لذة الكرى وبينما هي كذلك ما تشعر الاّ وقد ظهر امام عينيها وجه كليبر الذي كان قد صعد الى آخر درجات السلم وأطل من النافذة على الغرفة فذعرت عند رؤيته وانتصبت واقفة على قدميها لانها اشتبهت في هيئته لتغير زيه فجفلت وتقهقرت الى الوراء

أما كليبر فدخل الى الغرفة بكل جسارة وسكينة وأمسك بيد حبيبته فأجلسها وطيب خاطرها وحاول ان ينبئها بذلك الخبر المشؤم فتلعثم لسانه وخارت قواه وخانه جلده فألقى بنفسه الى السرير الذي كانت ماري جالسة عليه وهو في شدة التعب والألم

١٢

جاء كليبر الى دار الامير في مثل هذه الساعة من الليل وعلى مثل هذه الكيفية من التنكر والتستر ليقول لحبيبته كلمة واحدة وهي انه عزم على مغادرة فرنسا لاجل غير مسمى وما أشد وقع هذه الكلمة على قلب فتاة مسكينة عاشقة ولهانة ألقت بنفسها بين يديه واندفعت معه في تيار الحب والغرام وهي واثقة بصدقه واخلاصه وعارفة بما هو عليه من الشهامة والشرف .

قلنا ان كليبر أراد ان يطلع حبيبته على حقيقة الامر ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلاً وقد هاله هذا الموقف الرهيب ولم يكن يشعر بهول تلك الساعة من ذي قبل .



(فجفلت ماري عند رؤية كليبر وتقهقرت الى الوراء)

كان القائد يريد ان يتكلم ولكنه لا يعلم كيف يبتدئ الحديث ولا كيف يختتمه وماري شاخصة اليه لا تبدي حراكاً ولا تفوه ببنت شفة لانها تريد ان تعرف على ماذا عوّل وأي سبيل يريد ان يسلك في هذه الظروف الصعبة وتنتظر الرد على كتابها. عندئذٍ لم يرَ كليبر بدّاً من الكلام لانه لم يتجشم كل هذه المتاعب الا ليقابلها ويحدثها بكل ما يكنه قلبه ويدور في خلده فالتفت اليها وقال بصوتٍ مرتجف انظري يا حبيبتي كم أنا أحبكِ وأهواكِ

وكم أتجشم من المتاعب في سبيل رضاكِ فاني لم أتسلَّق سور الحديقة وأَصعد من هذه النافذة وأُنزل نفسي منزلة اللص الاَّ طوعاً للغرام ورضوخاً لسلطان الوجد والهيام . وما أسعد هذه الساعة التي أَراكِ فيها الى جانبي أُحدّثكِ وأَتمتع باجتلاء محيَّاكِ انها والله أَسعد ايام حياتي بل هي حياتي كلها تأملي حولك لا ترين الاَّ هدوًّا وسكونًا سائدًا والليل يخفينا تحت ستاره عن أعين الرقباء والحاسدين فما أَسعد هذه الليلة وما أَجملها لبث لواعج الحب وشكوى العاشقين قالت حبذا هذه السعادة لو كانت تدوم يا حبيبي فلما سمع كليبر هذه الكلمة من حبيبته كانت أَشد وقعاً على قلبه من السهام الجارحة لانها صادفت هوى في الفؤَاد وكانت أعظم نذير بما يتهدَّده من المصائب المقبلة فتجلد قليلاً واستطرد الكلام فقال

حبيبتي دعينا الآن من ذلك واسمعي ما أَقول

قالت قل ما بدا لك فكلّي آذان صاغية ولأَقوالكَ سامعة واعية .

قال ماري أَتحبينني

قالت آه يا حبيبي وهل تشك في صدق حبي واخلاصي .

قال حبيبتي أتفضلين أحدًا سواي عليَّ

قالت آه يا حبيبي مالي أَرى كلامك اليوم عليَّ قاسياً كأَنك تجهل أَو تتجاهل مالك في قلبي من المنزلة السامية والمكانة العالية فاخبرني بالله عليك ما سبب هذه الاسئلة الشديدة الوطأَة .

قال اعلمي يا حبيبتي اني لم أُوافيك في هذه الساعة الا لأُنبئك بخبرٍ طالما حاولت كتمانه عنك فلم أَستطع الى ذلك سبيلاً ولم أَرَ لهذا الكتمان محلاًّ ذلك انهُ لم يعد يبقى لي سوى بضعة أَيام قلائل أقضيها بين يديك ثم

أُغادرك الى بلاد بعيدة للقيام بخدمةٍ شريفةٍ لست أرى بدًّا من القيام بها ولو كلفني ذلك فوق ما أطيق ·

قالت تغادرني الى ديارٍ بعيدة في مثل هذه الظروف المدلهمة لم يكن هذا عهدي بك يا حبيبي !!

قال نعم سأُسافر يا ماري مع جيشنا الجرّار للاستيلاء على البلاد المصرية تلك البلاد التي اشتهرت بجودة تربتها ووفرة خيراتها وجميل آثارها ومناظرها وأرى في نفسي عاملاً يدفعني الى الاقدام ويمنعني عن الاحجام لانه يعار عليَّ أن اتمتع بخيرات بلادي في سرائها ثم أمتنع عن خدمتها في مثل هذا الموقف الحرج وحبذا ذلك اليوم الذي تخفق فيه أعلامنا الفرنساوية على تلك الاقطار المصرية عندئذٍ اهرع اليك لتكوني شاهد عدلٍ على علو همتي وتشاركيني في افراحي ومسرّتي

قالت اني لأَعجب وحق الحب من اصرارك على اقتحام هذه الحرب وأنت تعلم ان بين يديك فتاة مسكينة لا صبر لها على فراقك ألا تشفق عليَّ وترثي لحالي وقد عهدتك اكثر الناس رقة وشفقة فأُناشدك الله بل أُناشدك الحب الخالص والوداد الصحيح ان تعدل عن هذا العزم ولا تزدني مصاباً على مصابي انك اذا سافرت في مثل هذا الوقت عرضت حياتي للخطر فهل يرضيك ان أذهب فريسة الظلم والاستبداد يا عزيزي فاشفق عليَّ واشفق على حياتك أيضاً فلا تلقي بنفسك الى التهلكة وكفاك ما أَحرزته من المجد والفخار في الحروب والمعارك الماضية فاعمل على الخلاص من هذه الورطة الجديدة ان ذلك أجدر بك وأَحرى

قال كفى يا عزيزتي فلا تزيديني هماً وغماً وتوقعيني في وهدة اليأس

والقنوط . ان كلامك شديد التأثير على قلبي وأخشى ان تحوليني عن عزمي الذي آليت على نفسي ان لا أتحول عنه ما دام دمي يجري في عروقي فاعلمي يا حبيبتي ان الموت والحياة بيد الله

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوَّعت الاسباب والموت واحد

ولست أخالك تجهلين ما يلحقني من العار والشنار اذا أحجمت عن هذه الخدمة الشريفة ولا اظنك ترضين ان يقال عني بانني جبان خسيس خال من المروءة والشرف فلا شك ان الموت أحب اليَّ من احتمال هذا العار ويكفيني ان أقول لك ان نفسي تصبو الى اقتحام هذه الحرب وقلبي يحدثني بانني سأكون فيها من الظافرين وهبي اني مت في ساحة الوغى أفليس الموت هكذا أفضل من الموت على فراش من حرير

حبيبة قلبي لا تراعي فانما تركت اموراً كان أهونها أمر
تهون عندي كل شيء مروءتي ولا فضل لي لولا فراقك أو نخر
فنفسي لا شيء لديَّ وأنت نـ ـت لي النفس العزيزة والصدر
فلا تعذليني واعلمي انني امرؤ اذا مت أحيتني المروءة والذكر
وان عشت من بعد القنوط فانما أعيش كريم النفس عبد لي الحرُّ
وان مت كان السيف يشهد أنه أمات فتى ماضياً مثلاً له القبرُ

قالت آه ما أقل حبك وما أقسى قلبك فلقد جرَّعتني غصص الآلام ورشقتني من تباريح الوجد بسهام وأي سهام

قال صبراً يا حبيبتي صبراً فان بعد العسر يُسراً وما دام للانسان في هذه الحياة أجل فلا بدَّ ان يحظى بنيل الامل . قالت : تشير عليَّ بالصبر وأنت تعلم ان الصبر لا ينفعني بعد فراقك فآه يا حبيبي اني اكاد اذوب حزناً وكمداً منذ الآن

فان كان لا بد من الرحيل فانا اسير معك حيثما ذهبت

قال ان شرفي ووظيفتي وظروفي لا تسمح لي باستصحابك معي على هذه الصورة فلا ترتاعي يا حبيبتي ولا تجزعي بل تجلدي وتشجعي فقد حان وقت الوداع واني أخشى ان ينتبه سكان القصر فيحدث ما لا تحسن عقباه ولكني قبل الرحيل استحلفك بما بيننا من روابط الحب ان تقسمي لي بشرف عواطفك انك تبقين محافظة على عهدي ولا تحيدين عن جادة الحب فأرادت ماري ان تجيب على سؤال حبيبها وهمت بالكلام نخنقها البكاء وانطرحت بين ذراعيه وهي في حالة من الجزع والاحتراق لا يستطيع القلم وصفها

ثم رفعت عينيها كمن يريد ان يستعطف محادثه أو يسترحمه واحنت رأسها علامة الرضى والتصديق على ما طلبه الحبيب فوقعت هذه الاشارة على قلب كليبر كالصاعقة المهلكة أو السهم الجارح ولم يتمالك ان بكى بكاء الاطفال فحوَّل وجهه عن ماري لكي لا تراه واستسلم لعوامل النحيب والعويل وقد كاد يغشى عليه فأجلس حبيبته وجلس الى جانبها ثانيًا حتى يهدأ روعهما ويسكن اضطرابهما

ثم همَّ بالخروج وتبعته ماري فنزلا كلاهما من نافذة الغرفة على السلم الذي كان لم يزل موضوعًا في مكانه ولما وصلا الى الحديقة وعزم كليبر على التسلق من سورها كما دخل لم يشعر الاَّ وقد قبضت على ذراعيه يد قوية فتقهقر الى الوراء وقد أوجس خيفة ونظر خلفه مندهشًا واذا به يرى الامير دي بوربون متدثرًا بملابس النوم وهو يتميز غيظًا ويحتدم غضبًا وقد كاد الشرر يتطاير من عينيه



﴿ وانطرحت ماري بين ذراعيه وهي في حالة الجزع والاحتراق ﴾

١٣

لا شك ان القاريء الآن يتشوق كثيراً الى معرفة سبب نزول الامير الى الحديقة في مثل هذه الساعة ومداهمته لكايبر وماري هكذا فجأة على غير انتظار وتحرير الخبر ان تلك الجاسوسة (خليلة الامير) التي أوعز اليها ان تراقب حركات ماري وسكناتها وتقف لها بالمرصاد بدون ان تشعر بها سولت لها نفسها الدنيئة ان تنتهز فرصة دخول كايبر الى غرفة ماري في هذه الليلة وقد كانت استشعرت بمجيئه وصعوده الى الغرفة لان غرفتها كانت على مقربة من مخدع ماري فنهضت تلك اللعينة من سريرها وأدنت أذنها من باب الغرفة التي اجتمع فيها كايبر بحبيبته وسمعت كل ما دار بينهما من الحديث حتى اذا عزم القائد على الرحيل بادرت الى سيدها فأيقظته من النوم وأخبرته بكل ما جرى فبادر واياها مسرعاً الى تلك الغرفة المعهودة فوجد بها مصباحاً مضيئاً ولكنها خالية خاوية لان ماري وكايبر كانا قد نزلا الى الحديقة كما علمنا فاسرع اليهما مهرولاً كما أوعزت اليه خليلته وتبعته أيضاً ولم تمض بضعة ثوان حتى كان الامير في الحديقة وهناك التقى بالقائد وجهاً الى وجه كما مرّ الكلام

وكان الليل وقتئذٍ صار في الهزيع الاخير والسكون سائد والظلام مخيم ولولا أشعة الضوء المنبعثة من غرف القصر المستنيرة الى الحديقة لما أمكن الامير ان يميز وجه القائد أو يعرفه

اما ماري فلما وقع نظرها على أبيها على مثل هذه الحالة المريعة وفي مثل هذا الموقف الهائل ارتعدت فرائصها وخارت قواها فوقعت الى الارض مغشياً عليها فأشار الامير الى جاسوسته اللئيمة ان تحملها حالاً الى سريرها ثم دنا من القائد وجذبه اليه بعنف وفؤاده يخفق هلعاً ويذوب التياعاً وجزعاً لانهُ يعلم

عن بسالة كليبر وشهامته اكثر مما يعلمه سواه ولولا ما اعتراه في تلك الليلة من الحنق والغيظ الشديد الذي بلغ به الى درجة الافراط والجنون لما فكر في ان يمد يده الى كليبر أو يتطاول عليه

ولما التفت اليه كليبر وراه على هذه الحالة من الاضطراب والتهيج وشدة الانفعال لم يشأ ان يزيد الطين بلة و يوسع الخرق على الراتق لان فؤاده كان حزيناً وقلبه مملوأً بالاكدار وهو يريد ان يخرج من قصر الامير بسلام ولكن الامير الذي كان يرى في هذه الزيارة الليلية اهانة له وحطاً لكرامته أبت نفسه ان يسكت عن هذه الاهانة و يرضى بها لنفسه فابتدر كليبر بالكلام وقال بلهجة الغضب والحنق :

هل لك ان تنبئني يا حضرة القائد بما حدا بك الى الدخول في بيتي في مثل هذه الساعة متسلقاً جدران الحديقة متلصصاً ؟؟

سمع كليبر هذا السؤال الجارح وادرك ما فيه من الاهانة لشخصه فهم ان يجيب الامير بمثل كلامه ولكنه عاد فتمالك نفسه وعلم حراجة موقفه وانه يستوجب المؤاخذة والادانة فعلاً على الجسارة التي بدت منه في هذه الليلة فكظم غيظه والتفت الى الامير واجابه بلين ورفق :

هون عليك يا سيدي فأنا لم أدخل الى منزلك مدفوعاً بعامل دنيء أو غرض سيء معاذ الله حتى يسوغ لك ان تقابلني بمثل هذا النفور والجفاء كأن لم يكن بيننا دالة صداقة واخاء

قال الامير كنت أظنك يا هذا اكثر أدباً وشرفاً مما رأيت فمن أين لك هذه الجسارة القبيحة وكيف سولت لك نفسك ان تهين شرف رجل تزعم انه صديقك وهل لم تدرك بعد فظاعة الجرم الذي ارتكبته الآن فأنا أتبرأ من

معرفتك ولا اعترف بصداقتك وأري ان دخولك الى بيتي في مثل هذه الساعة وعلى مثل هذا التستر والتنكر اهانة كبرى وجناية لا تغتفر ولا بد لي من ردهذه الاهانة ومحو ذلك العار. كان الامير يتكلم وامارات الانفعال الشديد بادية على محياه وصوته يدوي مع سكون الليل مرتجفاً مخيفاً ولم يكد يتم كلامه حتى حول وجهه الى باب القصر الداخلي وهمَّ الى زر كهربائي فاراد ان يضغطه لينبه خدمه ويدعوهم للقبض على كايبر والانتقام منه فذعر كايبر من ذلك وخشي عاقبة الامر لا لانه كان يخاف وقوع اذى عليه او يحسب لتجمع الخدم عليه حساباً لانه يعهد في نفسه المقدرة على تمزيق شملهم وتبديد جمعهم بل كان لا يريد ان يصل خبر هذه الحادثة الى خارج القصر او تتداوله الالسنة ويصير موضوع النظر في جهات الاختصاص لان ظروفه الخصوصية وشرفه العسكري يصبح عندئذٍ هدفاً للعبث وما اكثر تناقل الاخبار وانتشارها في مدينة مثل باريس لا يكتم احد فيها امراً ولا يخفي سراً.

فدنا من الامير ومنعه عن ضغط الجرس الكهربائي وقال له متهكماً.

هل لم يبق لدى سيدي الامير من طرق الدفاع عن شرفه والانتقام من عدوه غير استدعاء خدمه وما الداعي الى ذلك وانا واقف بين يديك لا احاول تخلصاً او فراراً. على اني اعلم ان من كان مثلك من الشرفاء لا يرضى بان يكون خدمه شهود يطلعون على دخائل مثل هذه المسألة فان كنت تعتبر اني اهنتك بدخولي الى بيتك كما تزعم فليس أفضل لك من ان تغسل عارك بمبارزتي كما هي العادة المتبعة في مثل هذه الاحوال لا ان تطلع الخدم على حقيقة الامر فحاول الامير ان يتنحى لما يعلمه من بسالة خصمه وتفننه في طرق القتال ولكنه رأى في كلامه صواباً ولم يجد بدّاً من اجابته والا عد في شريعة الشرفاء

جباناً عاجزاً · فخملق الى القائد وقال :

اني ارضى بهذا الحكم ولكن اين الشهود ·

قال لا حاجة لنا الى الشهود فان عين الله ترانا وتشهد علينا ·

قال ولكن ذلك لا يبرئنا من تحمل تبعة هذه المبارزة المخالفة للاصول

قال اذن فليدع سيدي الامير بعض خدمه ليكونوا شهوداً علينا · فقرع الامير الجرس بلا تردد واستدعى اثنين من خدّامه ثم سلم سلاحاً من اسلحته الى كليبر وتقلد هو أيضاً مثله وخرج كلاهما يطلبان المبارزة في بقعة فسيحة وراء الحديقة ·

ان كليبر لم يكن يريد ان يصل الخصام به مع الامير الى هذا الحد وقد حاول بكل ما في وسعه لحسم هذه المسأَلة بسلام ولكن ابت حدة الامير وصعوبة مراسه الا ان تلجئه الى طلب المبارزة على كره منه · لانه رأى فيها أَهون الشرين ولكن لما حان وقت العمل عاد فتندم على ما فرط منه فهاله الامر وعلم انه بمبارزته مع الامير يسيء الى حبيبته ماري لانه والدها واصل وجودها ومهما يكن من ظلمه وقساوته نحوها فانها مديونة له بحقوق والديه وعليها له واجبات نقضي بها الآداب وحسن التربية ·

لما خطر هذا الفكر على كليبر لم يستطع ان يخطو الى الامام ليرافق خصمه الامير الى ميدان المبارزة فلاحظ الامير منه ذلك فنظر اليه شذراً وقال

مالي أَراك احجمت عن الذهاب الم تكن انت الذي أَشرت بهذه المبارزة ورضيت بها قال بلى ولكن هل لا يتكرم عليَّ سيدي الامير بتأجيل ذلك الى الغد ·

قال انا لا اريد ان يطلع احد على ذلك واحب ان تكون مبارزتنا هكذا

سراً تحت جنح الظلام حتى يبقى سبب مبارزتنا مخفياً كما قلت وهذه أحسن فرصة لاتمام هذا الامر .

قال اذن فأنا لا أتأخر عن موافاتك الى هنا في مثل هذه الساعة من الليلة الآتية

قال هذا لا يكون فانا لا أرى موجباً لهذا التأجيل والتسويف وكفى ما لحقني منك من الاهانة فانا أريد الآن اما ان اطهر شرفي وامحو عاري او أرجع من ساحة المبارزة قتيلاً فان الموت أحب الي من هذا العار وانا لا اثق الآن بصدق أقوالك بعد الذي ظهر لي من لؤمك ودناءتك ......

قال كليبر كفى يا حضرة الأمير فانا لا اريد ان اسمع منك هذا الشتم والسباب فانت تريد مبارزتي لا اهانتي وانا اجيبك الى طلبك فهيّا بنا .

وعلى ذلك خرج الاثنان وتبعهما الخادمان الى محل المبارزة

١٤

نعود الآن مع القارىء الى مخدع الآنسة ماري لنعلم ما حل بها بعد ان حملت مغشياً عليها فانها بعد ان لبثت هكذا جثة لا حراك بها بضعة دقائق عاد اليها رشدها وانتبهت من غشيتها فوجدت نفسها مطروحة على سريرها والى جانبها تلك الجاسوسة اللعينة تحرسها دون ان تبدي حراكاً او تفوه ببنت شفة فاستجمعت الفتاة حواسها وتذكرت ما جرى لها فانتفتت الى تلك الخادمة وسألتها عما جرى مع ابيها والقائد كليبر فحاولت ان تموه عليها وتطيب خاطرها ولكن ماري تجلدت وتجددت قواها فنهضت من فراشها واسرعت مهرولة الى غرف القصر مفتشة على ابيها لتستطلع الخبر وتطمئن على حبيبها فلم تجد له أثراً فبادرت في الحال الى الحديقة فلم تجد أحداً أيضاً لان الامير وكليبر كانا قد خرجا الى

الساحة الخارجية ليتبارزا فوقفت ماري ذاهلة مدهوشة لا تدري ماذا تفعل ولا تعلم ماذا جرى وبينما هي واقفة في الحديقة مبهوتة لا تهتدي الى شيء اصاخت سمعها فسمعت مع هدو الليل وسكون الطبيعة قرقعة سلاح على مقربة من الحديقة فاوحى اليها قلبها حالاً بحقيقة الامر وحدثتها نفسها بان هذا صرير السلاح الذي يتبارز به والدها مع كليبر فاخذ الفزع منها كل مأخذ ولم تتمالك نفسها حتى بادرت مسرعة الى خارج الحديقة لتعلم حقيقة الامر وهناك تجلت امامها الحقيقة وعلمت ان ما تخيلته كان امراً مقدراً .

رأت الامير وكليبر قد استلا سيفان ماضيان وشرعا في المبارزة بحماسة شديدة وحدة زائدة

فتوسطت بينهما وصرخت مستغيثة مستعطفة فاندهش الرجلان من هذه المباغتة وحملق كلاهما الى ماري مذعورين . اما هي فاستحلفت كليبر ان يكف عن البراز ولا يزيدها غماً على غم ودنت الى والدها فجثت على ركبتيها بين يديه طالبة الصفح والغفران على ما فرط منها واعدة اياه بالخضوع والاذعان وقطع كل علاقة مع كليبر منذ الآن .

أما والدها فاراد اولاً ان يمنعها عن التداخل في الامر وقد زاده حضورها حنقاً وانفعالاً وزادت رغبته في المبارزة ولو خرج منها خاسراً او مقتولاً لان أصعب شيء على قلب الانسان ان تسد في وجهه سبل الحيل و يقطع من النجاح كل أمل

وقد علمنا ان الاميركان مثقلاً بالديون وقد اراد ان يتخذ جمال ابنته وسيلة للتخلص من ورطته المالية فيتاجر بزواجها ولو كان في ذلك كل الشقاء والبلاء لها لان الغرض يعمي و يصم ولما رأى من ابنته كل هذا الرفض والاباء وتملكه



الامير وكلبير يتبارزان وقد توسطت بينهما الآنسة ماري

اليأس والقنوط فضل ان يدخل مع خصمه القوى الشجاع الى ميدان المبارزة مع ما يعهده في نفسه من الضعف والعجز ليجعل حداً لعذابه وآلام قلبه فاما ان يتغلب على خصمه فيقتله وتزول من امامه تلك العثرة التي تعيقه عن تنفيذ مآربه او يموت هو بيد ذلك الخصم العنيد فيتخلص من وخز ضميره وعذابه اولى من ان يقتل نفسه انتحاراً . وما اعظم جسارة الانسان واقدامه على الموت بلا خوف ولا مبالاة اذا ملأ اليأس قلبه .

هذه كانت أميال الامير وآماله في ذلك الوقت جرى بها مع تيار الشهوة والطمع ولسان حاله يقول (الموت او الفوز) ولكنه لما رأى من ابنته لجاجة والحاحاً في الاستعطاف والاسترحام وقد سمع بأذنه من فمها كلمة الاعتراف بالرضى والانقياد له عاد فعدل عن افكاره ورأى ان باب النجاة قد فتح امامه ثانياً وان لا محل لليأس والقنوط فاغمد سيفه ونظر الى كليبر فقال له اني اعفو الآن عنك وارضى باطلاق سراحك ولكني انذرك بانك اذا عدت الى هذه الفعلة الشنعاء جعلتك عبرة لمن اعتبر .

حاول كليبر ان يتكلم ويجيب الامير على كلامه المر ولكن لاحت منه التفاتة فرأى حبيبته ترمقه شذراً وبين عينيها سحراً حلالاً وكأنها تستعطفه ان يلازم الصمت ولا يفوه ببنت شفة اكراماً لخاطرها فلم يسعه الا الرضوخ والاذعان لسلطان الحب واحتمال هذه الاهانات بصبر وطول اناة ارضاء لمن اوقف قلبه على حبها واقسم بان لا يخضع الا لسحر عينيها . فاغمد عندئذ سيفه ولبس ثيابه وخرج مهرولاً بعد ان احدق النظر بماري ليزودها آخر نظرة في آخر ساعة للوداع ولسان حاله يقول :

ودعته و يودي ان يودعني   طيب الحياة واني لا اودعه

١٥

لما خرج كليبر من دار الامير بعد منتصف الليل توجه الى منزله توًا وهو في حالة من الحزن والاكتئاب لا يستطيع القلم وصفها وقد أخذ منه الكدر كل مأخذ وكان ينهب الارض على غير هدى و يحاول ان يطرد عنه المخاوف والوساوس على غير جدوى حتى اذا دخل غرفته انطرح على سريره ليستريح مما هو فيه قبل انقضاء ما بقي من ساعات الليل القليلة ولكن اني له الهجوع وليالي العشاق لا يتخللها الا الارق والسهاد ونحن نترك هذا المسكين الآن يتقلب على احر من الجمر و يناجي نفسه بما ستؤول اليه حاله بعد هذه المقابلة الاخيرة ونعود بالقاري الى بيت الامير لنرى ما تم هناك بعد ذلك الانقلاب العظيم

صعد الامير مع ابنته بعد ذلك الى القصر وهما لا يبديان حراكاً ولا يفوهان ببنت شفة ٠

اما الامير فدخل الى مخدعه توًا وتبعته خليلته ودخلت ماري الى غرفتها أيضاً فالقت بنفسها على سريرها وهي منهوكة القوى خائرة العزم من شدة ما عانته من التعب في تلك الليلة الهائلة وما زالت تضرب اخماساً في اسداس وتستجمع حواسها لتتذكر ما جري لها وتتدبر فيما سيفضي اليه حالها و بقيت هكذا في اشد حالات الضنك وشدة الالم حتى اوشك نور الصباح ان يبدد جيش الظلام وعندئذ اخذتها سنة من النوم وغرقت في بحار الكرى ولما انبلج الصباح عاد

الامير يفكر في اتمام زواج ابنته بمن اختاره لها فيطمئن باله و يرتاح قلبه ويخلص من هذه الاخطار التي تتهدده ورأى ان انتهاز الفرص خير ما يجب ان يفعله في مثل هذه الظروف الحرجة

وأول ما خطر على باله أن يرسل الى ذلك المثري الكبير (شارل) ليستدعيه اليه ويبتدئ في الدخول في مشروعه العظيم حتى لا تبقى أمامه عثرة بعد ذلك في سبيله. قبض الامير على القلم و كتب الى شارل يدعوه للضيافة عنده لان لديه اموراً ذات بال يريد مخابرته فيها وابث ينتظر قدومه بفروغ صبر

ولما أستلم شارل الكتاب وكان كما علمنا لم يزل منهمكاً في ملذاته وملاهيه ابرقت أسرته وشعر بسرور داخلي لانه كان يعلم ان لصديقه الامير دي بوربون ابنة اشتهرت بالجمال الفتان والمحاسن الرائعة فاقسم ان لا يتأخر ساعة عن الرحيل الى دار الامير ليطفئ بمداعبتها لهيب شهواته المتأججة فبادر الى تصفية أشغاله وطار على اجنحة السرعة الى دار الامير وهو يعلل نفسه بنيل الآمال والتمتع بمصاحبة ربة الحسن وآلهة الجمال . وما كاد يطأ باب القصر حتى شعر الامير بقدومه كأنه كان واثقاً باجابة طلبه لما يعلمه من أميال شارل وطباعه فاستقبله أحسن استقبال واكرم وفادته كثيراً وبالغ في التحبب والتودد اليه ليفوز بنوال اربه بأقرب وقت وما درى هذا الآب الاحمق الظالم أنه بفعله هـذا ينزل نفسه أقبح منزلة و يرتكب ما لا يقبله الاّ كل خسيس دنيء مجرد من الشهامة وعزة النفس وأنه بعمله هذا يتجرد من كل عاطفة شريفة ويضحي ابنته قرباناً على مذبح أغراضه الفاسدة ومآربه الدنيئة ولكن لا غرابة في ذلك فان من مات ضميره مثل الامير لا يعي ولا يدرك فظاعة عمله هذا

لم يلبث شارل طويلاً في دار الامير حتى لمح ماري فهام بها وجداً وابتداء يسعي في التقرب منها وهي لا تزداد الى نفوراً وصداً وقد هالها ما فعله والدها وكيف سولت له نفسه ان يجعل داره مجالاً للفساد وقد أعمى الغرض بصر بصيرته فصار لا يشعر ولا يدري

١٦

لما هام شارل في حب ماري من أول نظرة بداء يفكر في وسيلة تمكنه من الحصول عليها والتمتع بجمالها مدفوعاً الى ذلك بعامل شهواته وقد كان يظن بادي بدء ان ذلك من أسهل الامور لديه لانه غني والمال خير سلاح يستعمل في اجتذاب النساء وأستمالة قلوبهن ولكنه رأى في ماري مع ذلك من الصد والاباء ما حيره واذهله حتى كاد يقطع الأمل ويعود بخفي حنين ولكنه عاد ففكر في سبب استدعاء الامير له واكرام مثواه وعلم بالبداهة انه لم يفعل ما فعله لا ليستنزف شيئاً من ماله ويجعل ابنته واسطة لنوال غرضه فرأى من الصواب ان يفاتحه ويستطلع أفكاره لانه لم يرَ للصبر بعد هذا كله محلاً

لما رأى الامير ان حب ماري تمكن من قلب شارل استبشر بالخير وتجدد فيه الأمل بانفراج أزمته وزوال غصته ووعده باتمام بغيته واقناع ماري بالرضى عنه وأنه سيبذل كل ما في وسعه لما يكون فيه رضاه وارتياحه وطلب اليه ان لا يقنط من الفوز بأمله لان ما تظهره له ماري من الجفاء ان هو الآ نتيجة الحياء الطبيعي في كل آنسة مهذبة مثلها وهذه سحابة صيف لا بد ان تنقشع قريباً ثم يخلو الجو ويصفو العيش

وبعدئذٍ استدعي الامير ابنته واختلى بها وحده وأوعز اليها انه عزم على مبارحة باريس لمهام خطيرة حيث يتغيب عنها نحو ثلاثة أيام فعليها ان تنوب عنه في الاحتفاء بضيفه الكريم (شارل) ولا تقصر في واجبات الضيافة نحوه ثم استطرد الى مدح شارل والاطناب في مكارم اخلاقه وطيب عنصره وعلو منزلته وكان يقصد بذلك ان يستميلها اليه وانه بهذه الطريقة يخلي لهما المكان ويعطيهما الحرية الكافية في تمكين علائق الالفة بينهما مدة غيابه · أما ماري فلما سمعت من والدها هذا الكلام كادت تتميز غيظاً وحنقاً وادركت ما في حيلة والدها من الدناءة والسفالة وكانت هذه أول مرة شعرت فيها ماري باحتقار أبيها وسقطت منزلته في عينيها فاطرقت الى الارض ولم تنبث بكلمة ونيران الغضب والانفعال تشتعل في قلبها · فتقدم اليها الامير ليودعها وقبلها بين عينيها اللتين كانتا في هذه الساعة مغرورقتين بالدموع لا لفراق أبيها ولكن لما هي فيه من الوجد وحراجة الموقف وتوالي المصائب وقد همت لتشيع والدها الى باب القصر الخارجي ولكنها لما أرادت ان تخطو الى الامام خانتها قواها ولم تساعدها قدماها على المشي ولاحظ عليها الامير ذلك فأشار اليها بالبقاء في مكانها فانطرحت على مقعد في غرفتها وأسندت رأسها الى يدها وهامت في وادي الاحزان والتخيلات

وهنا نستميح القاري عذراً في ترك ماري برهة في هذه الحالة التي يعجز القلم عن ايضاحها وايفاءها حقها من الوصف والتعبير ونسير معه الى حيث تركنا القائد كليبر في داره يضرب اخماساً لاسداس

كريشة في مهب الريح طائرة لا تستقر على حال من القلق

نهض كليبر عند بزوغ الفجر بعد الذي عاناه في تلك الليلة الدهماء مع الامير

دي بور بون وهو يشعر بدوار في رأسه وانقباض في صدره و يردد في ذاكرته ما جرى له البارحة وكلما تذكر شيئاً من هاتيك الحوادث المكدرة تألم من هذا التذكار كثيراً وانتفض كالعصفور بلله القطر وعندما يخطر بباله أنه حان وقت السفر الى مصر وان الجيش الفرنساوي على اهبة المسير وسيده القائد نابليون ينتظر قدومه في هذا اليوم يضيق ذرعاً و يزداد اضطراباً وهلعاً وتسود الدنيا في عينيه ٠

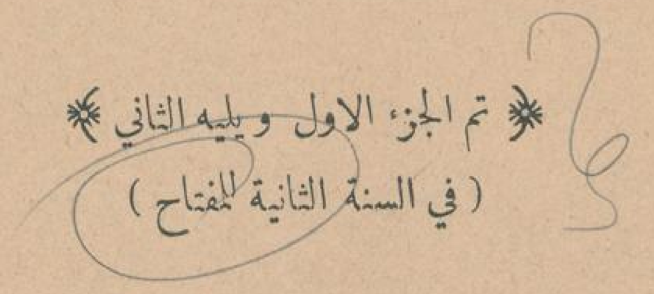
و بينما هو كذلك في هياج وانفعال ما يشعر الا وقد طرق باب غرفته واذا برسول من قبل القائد نابليون يستدعيه اليه على عجل فخفق فؤاده لهذا الخبر واغرورقت عيناه بالدموع وهم بالخروج وهو يجيل نظره يمنة و يسرة بتلهف وانكسار مودعاً تلك الربوع المحبوبة التي قضي فيها أنفس أيام العمر مع حبيبته ومالكة فؤاده ولما مرَّ على دار الامير وقف باهتاً يتأمل نوافذ القصر عله يرى ماري و يزودها النظرة الاخيرة قبل الرحيل ولكنه لم ير أحداً ولم يسمع صوتاً فوقف مذهولاً يردد في خاطره قول شاعرنا اللبيب

ارى آثارهم فاذوب شوقاً	وازرف عند رؤيتها دموعي
واسأل من بفرقتهم رماني	يمن علي يوماً بالرجوع

و بعد ان لبث مبهوتاً امام القصر برهة من الزمن فاقد الرشد ضائع الصواب لا يدري ماذا يفعل ولا كيف يتصرف وقد كاد يغشى عليه من شدة التأثر والوجد عاد فاستأنف المسير وفي قلبه جمرة من نار الحب والوله وقد أخذ منه الحزن كل مأخذ وكلما خطا خطوة الى الامام يعود فيلتفت الى نوافذ القصر مودعاً ولسان حاله يقول ٠

اودعكم والله يعلم انني　　اروم لقاكم والخلود اليكمو
وما عن قلى كان الفراق وانما　　دواع تبدت فالسلام عليكمو

حتى اختفي عن الانظار ووصل الى دار القائد الاكبر لينضم الى زملائه من رجال الجيش الفرنساوي المظفر ويمثل دوره في حوادث مصر العظيمة حيث وجد الجميع على اهبة السفر والرحيل



تم الجزء الاول ويليه الثاني

(في السنة الثانية للمفتاح)

